



أيُّها القرَّاء الكرام

نرِّحب بڪلِّ مقالٍ علمي مفيد

مجلة جامعة تصدر عن دار الفضيلة للنشر والتوزيع المدير توفيق عمروني رئيس التحرير عز الدين رمضاني أعضاء التحرير: عمر الحاج مسعود عثمان عيسي

ونسعَد بكلِّ نَقْدٍ هادفٍ سديدٍ. فمجلة «الإصلاح» وسيلة لنشر العلم النافع . للمراسلات: دار الفضيلة للنشر والتوزيع حي دوزي، قطعة (01)، رقم (06) باب الزوار - الجزائر ص ب 22 مكرر - 16027 الهاتف والفاكس: 63 94 51 (021)

التصميم والإخراج الفني دار الفضيلة للنشر والتوزيع

للمراسلات الإلكترونية:

## darelfadhila@maktoob.com

. •



إنَّ الحمدَ لله، نحمدُه ونَسْتَعِينُه ونَسْتَغْفِرُه، ونعوذُ بالله منْ شرورِ أنْفُسِنَا ومِنْ سَيَّئاتِ أعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له.

وأشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه.

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ حَقَّ تُقَانِهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ أَنْ اللَّذِينَ مَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهُ حَقَّ تُقَانِهِ وَلَا تَمُونُ إِلَّا وَأَنتُم مُسْلِمُونَ أَنْ ﴾ [الظَّلَق : ١٠٢].

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَاذَوْجَهَا وَبَتَّ مِنْهُمَا دِجَالًا كَثِيرًا وَبْسَاءً وَاتَّقُوا ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَاءَ لُونَ بِهِ-وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبُا ٢٠ ﴾ [النَّتَكَانَ ١].

﴿يَنَا يُهُا ٱلَّذِينَ ءَامنوا أَتَقُوا أَلَّهُ وَقُولُوا قُولُا سَدِيدًا ﴿ يُصَلِحُ لَكُمْ أَعْمَا كُمْ وَمَعْذِلَكُمْ ذَنوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَدْ

فَازَفُوزاً عَظِيمًا ٢٠ ﴾ [الجَنَكِ : ٧٠ ـ ٧١].

فإنَّ خيرَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتُهَا، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وكلَّ بدْعَةٍ ضَلالَةٌ، وَكُلَّ ضَلالَةٍ في النَّارِ.

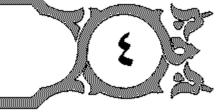
## اقرأ في هذا العدد...

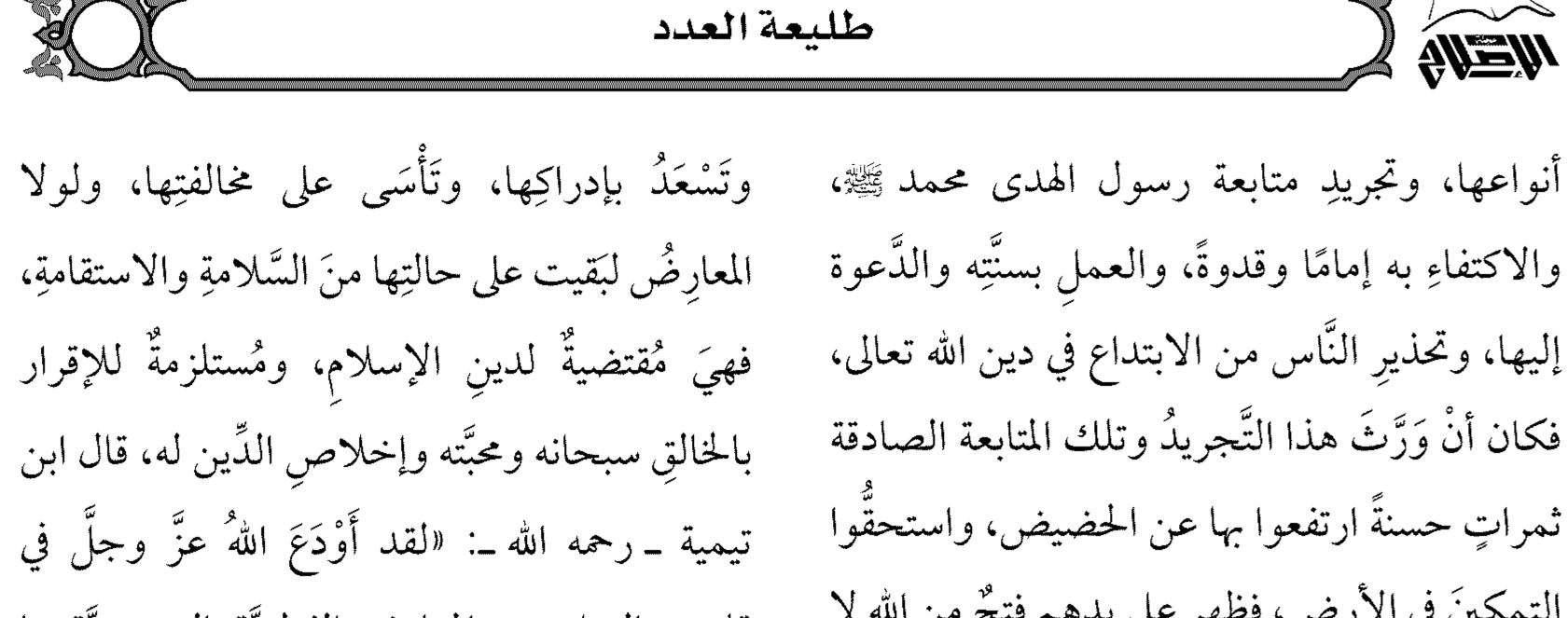
طليعة العدد ÁUEW

الإصلاح النَّفْسِي للفَرْدِ أساس استقامتِه وصلاح أمَّتِه

الشيغ محبد علي فركوس

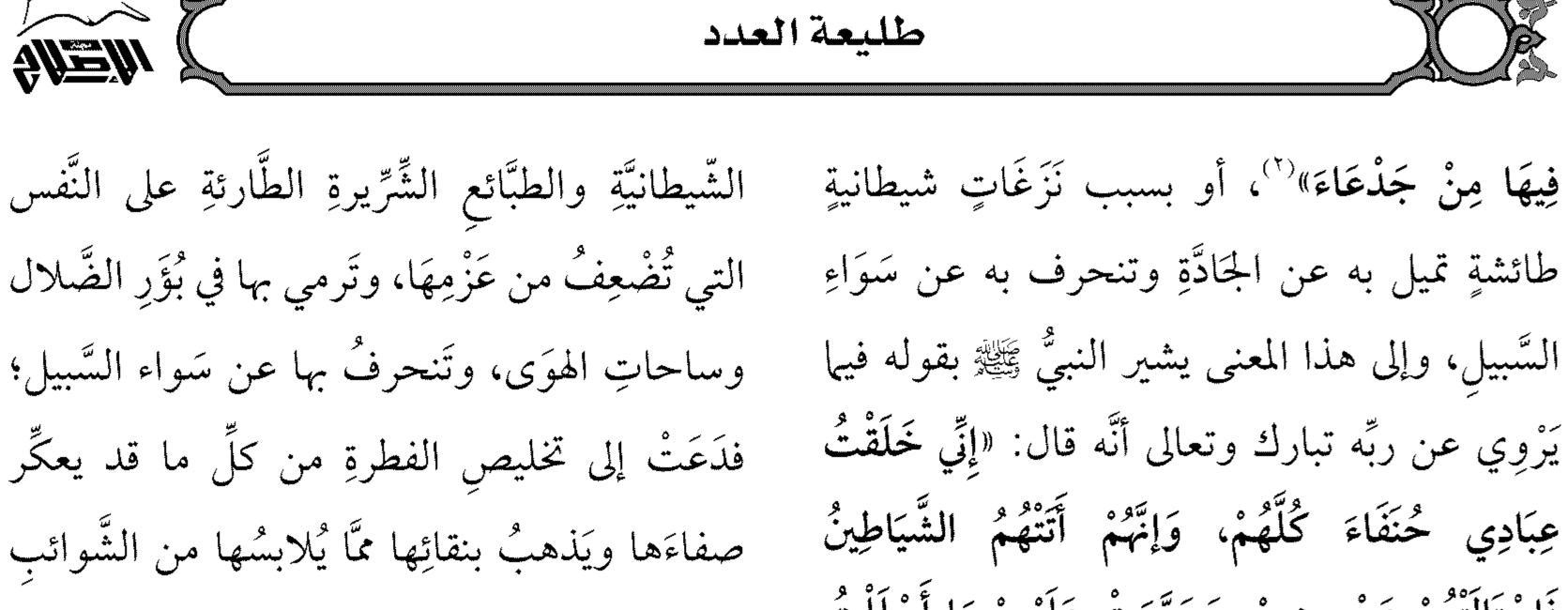
يقولونها بألسنتهم وقلوبُهم غافلةٌ عنها، وسلوكهم الواقعيُّ مخالفٌ لها أتمَّ المخالفة، وإنَّها عرفوها حقَّ المعرفة وقَدَّرُوها حقَّ قَدْرِهَا، قال تعالى: ﴿ كُمْتُمَ خَبَرَ أُمَتَةٍ أُخْرِجَتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِوتَنَهَوْنَ عَنِ خَبَرَ أُمَتَةٍ أُخْرِجَتَ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِوتَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنصَحِرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [التنظام: ١١٠]، فكانوا أفرادًا متجانِسِين أهلَ مُعْتَقَدٍ واحد، يسيرون على أفرادًا متجانِسِين أهلَ مُعْتَقَدٍ واحد، يسيرون على مسارٍ واحدٍ لا عِوَجَ فيه كما أمرهم ربُّهم سبحانه: ﴿وَأَنَ هَذَا صِرَطِى مُسْتَقِيما فَاتَبِعُوهُ وَلَا تَنَبِعُوا السُبُلَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ [الانظا: ١٥٣]، ويُؤَلِّفُونَ فَنَفَرَقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ الانتظا: ١٥٣]، ويُؤَلِّفُونَ الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على مَنْ أَرْسَلَهُ اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصَحْبِه وإخوانه إلى يوم الدين، أمَّا بعد: فإنَّ أشدَّ ما تكون إليه حاجةُ الأُمَّةِ اليوم هو انْضِوَاءُ أفرادها تحت لوائها بحيث يمثِّل كلُّ فرد منهم لَبِنَةً قويَّةً صاحةً، تشيِّد بناءَ الأمَّةِ، وترسِّخ منهم لَبِنَةً قويَّةً صاحةً، تشيِّد بناءَ الأمَّةِ، وترسِّخ أفرادها، وتُعلي صرحه؛ لأنَّ فسادَ الأمَّةِ بفساد أفرادها، ومناطُ صلاح الأمَّة بصلاح أبنائها، وقد آثنَى اللهُ تعالى على خَيْرِ جِيلٍ عَرَفَتْهُ البشرية يحملُ صفاتٍ لم تبلغها أمَّةٌ لم تَنْعَمْ بنعمة الإسلام، اتَّصَفَ





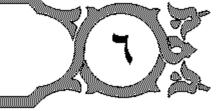
قلوب العباد من المعارف الفطريَّة الضروريَّة ما يفرِّقون به بين الحقِّ والباطل، وما يجعلها مستعدَّة لإدراك الحقائق ومعرفتها، ولولا ما في القلوب من هذا الاستعداد والتمَكُُنِ لما أفاد النَّظَرُ والاستدلالُ ولا البيانُ، كما أنَّه سبحانه جعل الأبدان مستعدَّة للاغتذاء بالطَّعام والشَّراب، ولولا هذا الاستعدادُ لما أمكنَ تغذيتُها وتربيتُها، وكما أنَّ في الأبدان قوَّةً لما أمكنَ تغذيتُها وتربيتُها، وكما أنَّ في الأبدان قوَّةً تفرِّق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوَّةً تفرِّق بين الغذاء الملائم والمنافي، ففي القلوب قوَّةً تفحُفُ ويَخْفُتُ نورُها فيَعْرِضُ لها ما يغيرُها ويحوِّلها إلى مِلَلِ الكفر والشَّرك بسبب مؤثِّرات التمكينَ في الأرض، فظهر على يدهم فتح من الله لا مثيلَ له في التاريخ من قبلُ ولا من بعدُ؛ حيث امتدَّ الإسلامُ - من خلال نصف قَرْنِ من الزمان - من المحيط إلى ما وراءَ الهند، قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللهُ ٱلَّذِينَ مَامَنُواْ مِنكُرْ وَعَمَمِلُوا ٱلصَدِلِحَنتِ لَيَسَتَخْلِفَنَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ حَكما ٱستَخْلَفَ ٱلَذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِنَنَ هُمْ فِينَهُمُ المَنوِ فِي تَعْدَلُوَ الصَدِلِحَنتِ لَيَسَتَخْلِفَنَهُمْ فِي الأَرْضِ مَامَنُواْ مِنكُرْ وَعَمَمِلُوا ٱلصَدِلِحَنتِ لَيَسَتَخْلِفَنَهُمْ فِي الأَرْضِ مَامَنُوا مِنكُرْ مَامَ وَلَيُمَدِلَكَهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَناً يُعْبُدُونَنِي لا يُنْهِ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمَناً يَعْبُدُونَنِي لا

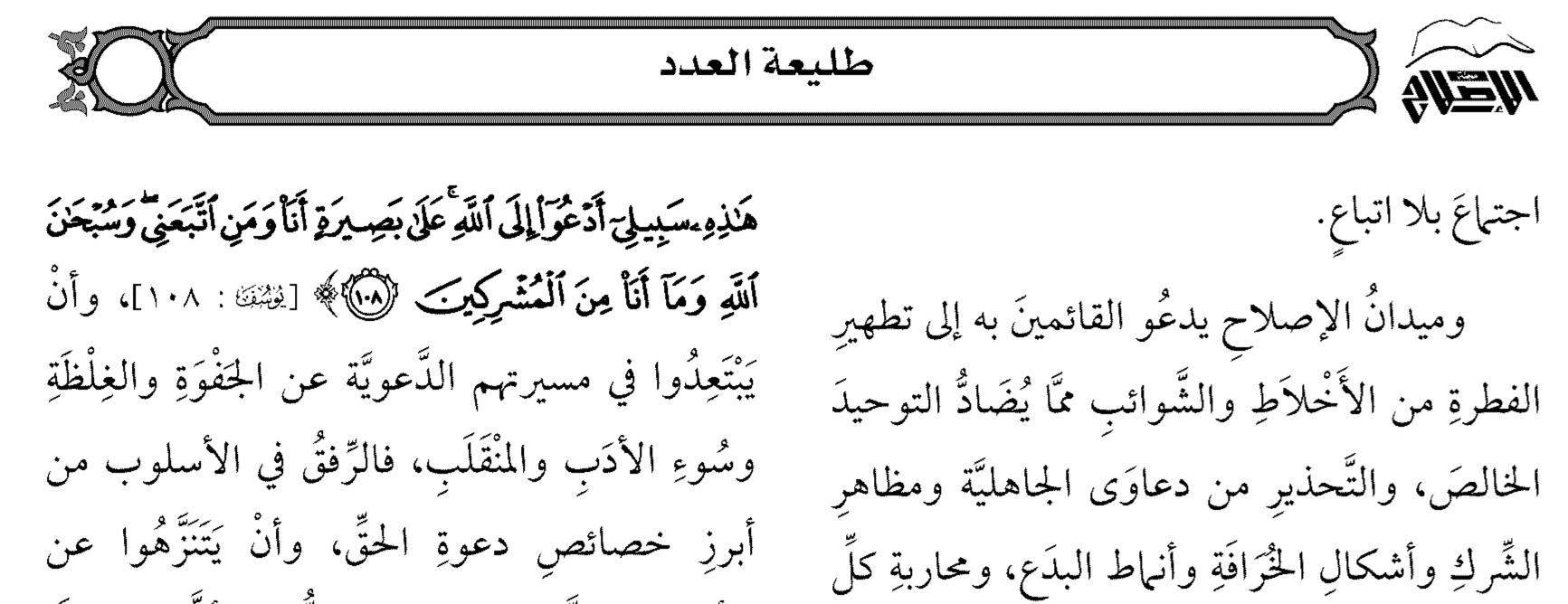
ومن خلالِ مُقَوِّمَاتِ هذا الجيل وثوابيته تفرَّق بين الحقَّ والباطل أعظم من ذلك»<sup>(1)</sup>. الأصيلةِ، تَبَلُورَتْ عنايةُ الإسلام بالعُنصر النَّفسي للفرد؛ لأنَّ الإصلاحَ النَّفسي للفردِ هو القاعدة الأساسيَّةُ لصَلاحِه وصلاحِ أُمَّتِهِ، وهو الدِّعامة الأساسيَّةُ من حيثُ القوَّةُ والعلبَةُ إلى الفردِ مركَبَةٌ من حيثُ القوَّةُ والعلبَةُ إلى: مو فرو يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَلَبُواهُ يُهَوِّدانِهِ وَيُنصَّرانِهِ الفردِ مركَبَةٌ من حيثُ القوَّةُ والعلبَةُ إلى: مو فرو يولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ فَلَبُواهُ يُهَوِّدانِهِ وَيُنصَّرانِهِ عبَّةِ الحَقِي والخيرِ، ومستعدَّةٌ لإدراك معرفة الحقائق، عبَّةِ الحقِّ والخيرِ، ومستعدَّةٌ لإدراك معرفة الحقائق،



والعوالق المدنِّسةِ، قال تعالى: ﴿ فَأَقِدْ وَجَهَكَ لِللَّايْلِينِ حَنِيفَأَ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاً لَا بَدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَلِكَ ٱللَّايِثُ ٱلْقَيِّعُرُ وَلَنَكِنَ أَصَحْرُ ٱلنَّصَاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢) ﴾ [النَّصَان الشَّرائعِ الَّتي جاءت بها الله ـ: «وهكذا شأنُ الشَّرائعِ الَّتي جاءت بها الله ـ: «وهكذا شأنُ الشَّرائعِ الَّتي جاءت بها واباحةُ طيِّب، وتحريمُ خبيثٍ، وأمرُ بِعَدْلٍ، ونهيٌ عن ظلمٍ، وهذا كلُّه مَرْكُوزُ في الفطرة، وكهالُ تفصيلِهِ وتَبيينه موقوفٌ على الرُّسل»<sup>(ن)</sup>. وعلى أساسِ معاييرِ الهدايةِ الَّتي جاءتْ بها الرُّسلُ تقوم دعوةُ المصلحين إلى توحيدِ الله ربً العالمين وعبادتِه ومحبَّنِه والإخلاصِ له، فهو أصل فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لهم، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمُ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»<sup>(7)</sup>، فارْتَبَطَ مصيرُ الإنسانِ في دنياه وآخرتِه بِرُجْحَانِ أحدِ الشَّقَيْنِ: شقِّ الخير والتقوى، أو شقِّ الشَّرِّ والفجور؛ فمن طهَّر نفسَه بطاعة الله، وأصلحَها من الأخلاق الدَّنيئة والرَّذائل فقد أفلح وربح، ومن أخملها ودسَّها حتى ركب المعاصي وترك طاعة الله فقد خابَ وخَسِرَ، وأصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: **وَنَتَسِ وَمَاسَوَنهَا ()** فَقَد أَفَلَحَ مَن الله فقد خابَ وخَسِرَ، وأصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: **وَنَتَسِ وَمَاسَوَنهَا ()** فَقَد خَابَ واللهُ تعالى: وَتَقَوْنُوا () فَقَد خَابَ وَخَسِرَ، وأصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: وَوَقَدْ حَابَ وَخَسِرَ، وأصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: وَوَقَدْ حَابَ وَخَسِرَ، وأصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: وَوَقَدْ حَابَ وَخَسِرَ، وأصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: وَوَقَدْ حَابَ وَخَسِرَ، وأصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: وَوَقَدْ حَابَ وَخَسَرَ، وأصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: وَوَقَدْ حَابَ وَخَسَرَ، وأَصلُ هذا المعنى قول الله تعالى: وَوَقَدْ عَابَ مَا أُحْلَتْ عُلْمَ عَالَهُ عُوْرَهُ وَقَدْ عُولَ الله تعالى وَوَقَدْ عَابَ وَالْمَا اللهُ المَنْ وَتَعَوْ وَعَالَا وَقَدْ وَنَا وَ وَقَدْ عَابَ وَالَنْهُ الرَّسُورَ وَقَدْ وَقَدْ وَالَعْ وَالْتَقَدَقَدَوْنَعْهُ وَقَدْ عَابَ مَا وَقَاقَا وَ وَقَدْعَابَ وَالْحَافَةِ عَابَ وَالْحَابَ وَقَدْ وَالْبِهُ الرَسلَ اللهُ وَالَعْ وَالَعْ وَالَوْ وَقَدْ وَالَعْهُ وَرَعْنَا وَالْ

معرفةِ الله ومحبَّتِه والإخلاصِ له وإيثارِه على غيرِه، الدِّين، ودعوةُ جميع الأنبياءِ والمرسلينَ، وهو ركنُ وتُنبِّهها عليه، مع التَّفصيلِ والبيانِ، وتعرِّفُها الأعمال وشرطُ التَّمكين في الدُّنيا، والنجاةِ في الأسبابَ المعارضةَ لموجبِ الفِطرةِ المانعةِ من اقتفَاء الآخرةِ، وبِهِ تَتَّحِدُ الأمَّةُ وتجتمع على إمَامِها أثرِها، كما حذَّرتْ من الاستسلامِ للنَّزعاتِ وقدوَتِها محمَّدٍ ﷺ، فلا وحدةَ بدونِ توحيدٍ، ولا

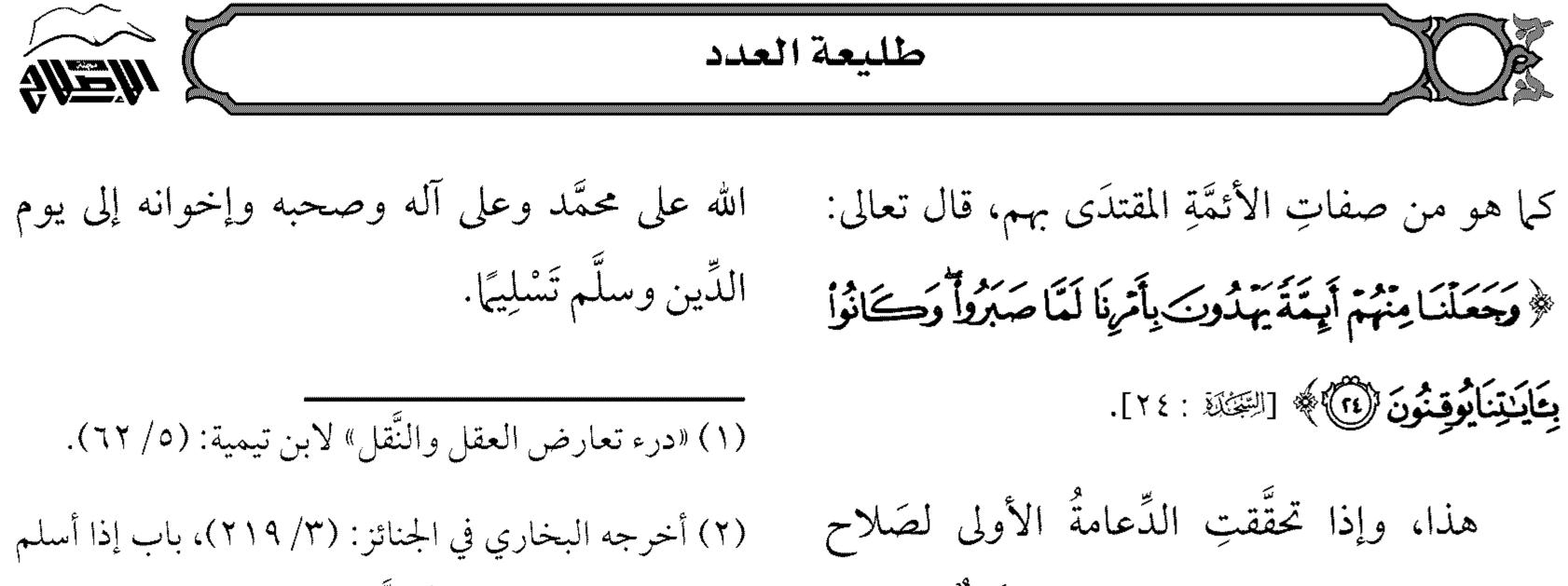




الأغراض الدَّنيئةِ والاغترارِ بالدُّنيا؛ لأنَّ الانشغال بها والتَّلَهِّي عن الآخرةِ أَوَّلُ طريق الضَّيَاع، قال تعالى: ﴿يَ**تَأَبُّهَا ٱلَذِينَ مَامَنُوا لا تُلَعِكُرُ أَمَرُلُكُمْ وَلاَ أُولَدُكُمُ عَنَ ذِحْرِ اللَّهُ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ فَأُولَتَتِكَ هُمُ أُولَدُكُمُ عَن ذِحْرِ اللَّهُ وَمَن يَفْعَلَ ذَلِكَ فَأُولَتَتِكَ هُمُ الْخَكِيرُونَ (١)** (اللَّانِي: ٩]، وأن يلتزموا التوكُّلَ على الله والتحلي بالصَّبر على دعوتهم إلى الخير والرُّشد والسُّؤْددِ، ويعتبروا بها واجهَ النبيُّ ﷺ من والجُحُودِ، فَصَبَرَ عليها وصَابَرَ ورَابَطَ حتَّى أَتمَ اللهُ دعوتَه، وانتشرتْ في الآفاقِ. من عَزَائِمِ الأمور؛ لأنَّه صبرُ على استكبارِ الجاحدِين، من عَزَائِمِ الأمور؛ لأنَّه صبرُ على استكبارِ الجاحدِين،

أسبابِ الانحرافِ عن دينِ الفطرةِ بإظهارِ الحقِّ، والأمرِ بالمعروف والنَّهيِ عن المنكرِ بوسيلةِ العلمِ الشَّرعيِّ الصَّحيحِ الَّذي هو مادَّةُ الإسلام وموضوعُه، وبمنهج مُستمَدً من الكتابِ والسُّنَّةِ وما عليه سلفُ الأمَّة.

كما أنّ ميدانَ الإصلاح يُنادي أصحابَه إلى رَبْطِ النُّفوسِ بشريعة الله الشَّاملةِ لجميع ميادين الحياةِ فيها يحتاجُه النَّاسُ لصَلاح دنيَاهُم وآخرتِهم، وغرسِ الأخلاقِ الفاضلةِ ومبادئ البِرِّ والإحسان والتَّعاون على الحقِّ والخير بالأسلوب الدَّعويِّ المُنْبَثِقِ من قوله تعالى: ﴿ **آدَعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ الخَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِآلَتِي هِيَ آَحْسَنُ** ﴾ [الخَلَّةِ : ١٢٥].



الفردِ بإصلاح نفسِه، فقد استقامَت لَبِنَةٌ لمجتمعه المسلم، تنتظِمُ إلى جانبها لَبِنَاتٌ قويَّةٌ صالحةٌ يُشيَّدُ بها صَرْحُ أمَّة الإسلامِ كالبنيانِ المرصوصِ يشدُّ بعضُه بعضًا، تقرُّ بها أعينُ الموحّدين في تماسُكها وعزَّتها وتمَكِينِها وهَيْمَنَتِهَا، وتحتلُّ صدارة المجتمعات على مدى الزَّمانِ وفي كلِّ الأحوالِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَلَذِهِ أَمَتُكُمُ أَمَتَهُ وَرَحِدَةً وَأَنَا رَبُحَكُمُ تعالى: ﴿ إِنَّ هَلَذِهِ أَمَتُكُمُ أَمَتَهُ وَنِحِدَةً وَأَنَا رَبُحَكُمُ

نسألُ الله تعالى أنْ يفتحَ علينَا بالاعتصامِ بحبلهِ المتينِ، وأنْ يجمَعَ كلمتَنا على التَّقوى والدِّينِ، وأنْ يوفِّقَ القائمينَ على الإصلاح في دعوتِهم، ويسدِّدَ خُطاهم، ويجمعَهم على التَّعاونِ على البِرِّ

الصبي فمات هل يُصَلَّى عليه، ومسلم في القدر: (٢٠٧/١٦)، باب معنى كلّ مولود يولد على الفطرة، وأبو داود في السُّنَّةِ: (٥/٨٦)، باب في ذَرَارِي المشركين من حديث أبي هريرة عيشينه.

(٣) أخرجه مسلم في الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها:
(٣) أخرجه مسلم في الجنَّة وصفة نعيمها وأهلها:
(٣) أهلُ ١٩٦/١٩)، باب الصِّفات التي يُعرف بها في الدُّنيا
أهلُ الجنَّة وأهلُ النَّار، وأحمد (١٧٩٤) من حديث
عياض بن حمار المجَاشِعِيّ عِيْنُهُ.

(٤) «شفاء العَليل» لابن القيِّم: (٢/ ٨٢١).

\* \* \*

والتَّقَوَى والتَّواصِي بالحقِّ والصَّبرِ، واللهُ من وراء القصد وهو يهدى السّبيل.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧



في رحاب القرآن 

الإصلاح في القرآن (مفهومه وميادينه ومسالكه)

عىزالىرين رمضانى

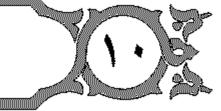
وتارةً بالسَّيَّئَةِ. في القرآن يظهر له بوضوح \_ لا يدع مجالاً للشكِّ \_ فمِنَ الأَوَّلِ قُولُه تعالى: ﴿ وَلا نُفْسِدُوا فِ ٱلأَرْضِ أنَّ هذه الكلمة وما يتفرَّع منها من ألفاظ واشتقاقات، بَعْدَ إِصْلَحِهَا ﴾ [اللمَّكِ : ٥٦]، ومِنَ الثَّاني قوله تعالى: وما يُستوحى منها من معانٍ ومدلولات، قد تبوَّأت خَلُطُواْعَمَلَا صَلِحَاوَءَ اخْرَسَيِّتًا ﴾ [التحق : ١٠٢]. مكانًا عليًّا في هذا الكتاب، إذْ عُدَّتْ من جملة وممَّا يُشَرِّفُ الإصلاحَ ويجعله آيةَ الصَّلاح أخلاقه وفضائله التي دعا إليها وحثَّ على التزامها ودليلَ الفلاح أنَّ اللهَ تولاَّه بنفسه استحقاقًا والتَّحلِّي بها، ويكفي للدِّلالة على أهميَّتها وبروزها وفضلاً، ونسبَه إلى نفسِه الكريمةِ صفةً وفعلاً، أَنْ ذُكِرت أكثرَ من مائةٍ وسبعين مرَّة بأساليبَ وحملَ عليه هذا الإنسانَ حثًّا وترغيبًا ليكون متنوِّعةٍ وسياقاتٍ مختلفةٍ ومدلولات تَخْلُصُ إلى أنَّ لرسالته أهلاً، فكان إصلاحُه له تارةً بخُلْقِه إيَّاهُ صالحًا، وتارةً بإزالةِ ما فيهِ منْ فسادٍ بعد وُجودِه، كلُّ ما يؤدِّي إلى الكفِّ عن المعاصى ومجانبة الفساد، أو إلى فعل الطَّاعات واتِّباع الرَّشاد فهو إصلاح. وتارةً بالحكم له بالصَّلاح كما قال تعالى: ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ المن المنتقد : ٢]، ( وَأَصْلِعْ لِى فِي دُرِيَّةٍ ﴾ [الخَقَظ : ١٥]، فالإصلاح \_ومنه الصَّلاح \_ كما يقولُ أهل المجلعة لَحْمَ أَعْمَالَكُمْ ﴾ [المجتلف : ٧١]، ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ لَا يُصْلِحُ اللُّغة والبيانِ: نقيضُ الإفساد، وهما مختصَّان في أكثر عَمَلَ ٱلْمُغْسِدِينَ ٢٠ ] فَانَتَ ١٠]. الاستعمال بالأفعال، وقُوبِلَ في القرآن تارةً بالفساد،

إِنَّ المَتَتَبِّعَ للمواضع التي ذُكِر فيها الإصلاحُ

ومن هُنا يتبيَّن مَدَى التَّلاَزُم الموجودِ بين في حقٍّ خليله إبراهيم: ﴿ وَلَقَدِ أَصْطَفَيْنَهُ فِي ٱلدُنْيَا وَإِنَّهُ الصَّلاح والإصلاح، وكلاهُما أَشَادَ بهما القرآنُ فِي ٱلْأَخِرَةِ لَمِنَ ٱلْصَالِحِينَ (٢٠) ﴾ [التقد: ١٣٠]، وقال في بحيث لا يَنْفَكُّ أحدُهما عن الآخر؛ لأنَّ الصَّلاح حقٍّ عيسى: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ يكون في النَّفس أوَّلاً ثم يتعدَّى إلى الإصلاح ٱلمتملِحِينَ () [الغَنْلات : ٤٦]، وقال في غيرهم: ﴿ وَزَكْرِيمًا للنَّفس، وبوجُودهما تكتملُ الفضيلةُ ويؤولُ التَّغيير وَيَحَيِّى وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلُّمِنَ ٱلصَّرْلِحِينَ أَصَى الله الله ٢٠٠]،

إلى استقامةِ الحال. لكن في الإصلاح معنَّى زائدًا على الصَّلاح، ٱلصَّـٰبِينَ ١ أَنْ الْمُسْ وَأَدْخَلْنَكُهُمْ فِ رَحْمَتِـنَا ۖ إِنَّهُم مِن وهو ما يحصُل فيه منَ النَّفْع المتعدِّي بخلاف المتعليمين (٢٠) (الألبينية: ٥٠ ـ ٢٦]. الصَّلاح الَّذي قد لا يتعدَّى النَّفع القاصر، وإن كان وإذا كانت مهمَّةُ الرُّسل والأنبياءِ الإبلاغَ مِن لازمِه أن يُؤَدِّيَ إلى الإصلاح؛ لأنَّه ثمرةٌ له؛ والإنذارَ وإقامةَ الحجَّة على النَّاس، فهي لا تخرج ولذا قالوا: «الصَّالحون يبنون أنفسَهم، والمصلِحُون عن كونها مهمَّةَ إصلاح وتغييرِ ما حلَّ بِالأَنْفُسِ يبنون غيرَهم». والهِم، والشَّعوب والأُمَم من فسادِ التَّصوُّر وقد جعل الله من مِنَنِهِ على المصْطَفَيْنَ من عباده والاعتقاد، وانحرافِ العبادة والسُّلوك، وسوءِ إصلاحَ أعمالهم وتوفيقَهم لعمل الصَّالحات؛ فقال: التَّعامل والتَّدبير، قال تعالى على لسان شعيب عَلِي التَّع ﴿ يَتَأَيُّهُا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَقُولُوا قَوْلُا سَدِيدًا ( ) يُصلِح في معرض قيامه بواجب النُّصح والتَّذكير لقومه: لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْلَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [اللجالة : ٧١]، وقال: ﴿إِنَّ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَحَمَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّلِحَتِ وَمَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ **تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أَنِيبُ شَكْ** [ اللهُ: ٨٨]، ولما اسْتَخْلَفَ نبيُّ لَحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كُفَرَعْنَهُمْ سَيِّنَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالْحُمُ أَنْ ﴾ [بحثيث : ٢]. الله موسى أخاه هارونَ عَلَيْ فِي قومه أوصاه بقوله: ﴿ أَخْلُفُنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَنَّبِعُ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ وفي طليعة من أصلحَهم الله وجعلَهم أئمَّةً في الصَّلاح والإصلاح الرُّسلُ عليهم السَّلام، كما قال الأغلاق: ١٤٢].

وقال: ﴿ وَإِسْمَنِعِيلَ وَإِذْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ صَحْلٌ مِنَ



يبدأ من الأهل ودوي الأرحام، ليعم الأنساب والجيرانَ والخِلاَّن والإخوان إلى أن ينتهي بعموم الناس على اختلاف مشاربهم وطبائعهم بلا تخاذلٍ أو تهاونٍ، ودون تَعَلَّلُ أو تَسويغ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا جَمْعُكُوا ٱللَّهَ عُرْضَكَةً لِأَيْمَنِيكُمْ أَن تَبَرُوا وَتَنَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ سَمِيعُ عَلِي رُسْ اللهُ [الله: ٢٢٤] أي لا تَتَعَلَّلُوا بِالأَيْهَانِ لتتركوا البِّ والتَّقوى والإصلاح بين الناس. للإصلاح في الأسرة وبيتِ الزَّوجيةِ دورٌ في

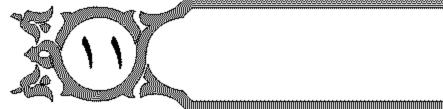
الحفاظ على كَيَانِهَا وأفرادِها قبل اسْتِعْصَاء الحلول وتفاقُم المُشكِلاتِ، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ سِمْعَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْيُرِيدَآ إِصْلَحَا يُوَفِقِ أَلَمَهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النابي : ٣٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِن بالتَّوبةِ للتَّطهير ورفع الأدناسِ، لينتهيَ إلى إحداث التَّغيرِ وإصلاح النَّاس، وفي هذا يقولُ الله: ﴿ فَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ، وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ زَحِيمُ ٢ ٢ ٢ [المثاللة : ٣٩]، ويقول: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَأَعْتَصَكُمُوا بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمُ لِلَّهِ فَأَوْلَتِهِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا (٢) [النَّعَانَا: ١٤٦].

ويقول: ﴿ ثُمَرً إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا ٱلشُّوَءَ بِجَهَا لَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعَدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعَدِهَا لَغَفُورٌ زَحِيمُ ٢ وممَّا يدلُّ على فضيلةِ الإصلاح اتِّساعُ ميادينه

ورحابةُ مجالاتِه، فَبِقَدْرِ ما تكثُر بين النَّاس المنازعاتُ، وترتفعُ في مجالسهم الخصوماتُ، ويتهدَّدُ بناءُ الأُسَر والبيُوتَاتِ وتَسُوءُ علاقاتُ الأفرادِ والجماعاتِ، بقدر ما تكثُر ميادينُ الإصلاح وتَتَّسِعُ حلولُه وتتعدَّدُ أساليبُه وطرقُه حتَّى إنَّه لَيَسَعُ النَّاسَ في

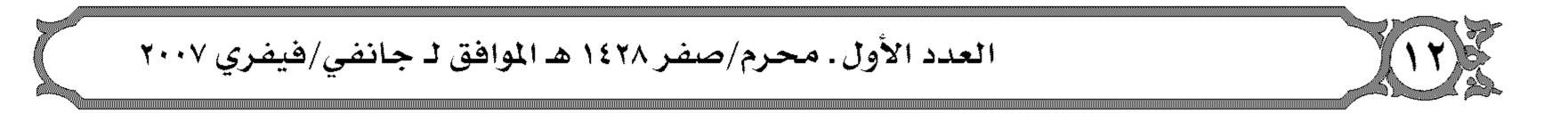
أَمْرَأَةُ خَافَتَ مِنْ بَعَلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحابَيْنَهُ مَاصُلُحاً وَٱلصَّلَحُ خَيْرُ ﴾ [النَّيَّة : ١٢٨].

وله بين أصحاب الحقوق في الوصايًا والأوقاف



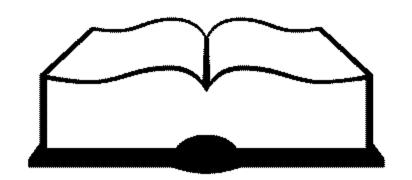
والولاياتِ إسهامٌ في حفظِ عقودِهم ومعاملاتهم وإذا كان إفسادُ ذاتِ البَيْنِ يَخْلِقَ الدِّينَ، ويُذكِي العَدَوات ويفرِّق بين الأحباب ويزيل ودَّ الأصحاب، فإنَّ إصلاحَ ذاتِ البَيْنِ يُذهب وَغَرَ الصَّدْرِ، ويَلُمُّ الشَّمْلَ، ويعيدُ الوِئامَ ويُصلِح ما فَسَد على مَرِّ الأيَّام، فهو لهذا مَبْعَثُ الأمنِ والاستقرار، ومَنْبَعُ الأَلْفَةِ والمحبَّة، ومصدرُ الهدوء والاطمئنان، وآيةُ الاتّحاد والتَّكاتف، ودليلُ الأخوَّة وبرهانُ الإيمان، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةً فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخُوَيَكُمُ وَأَنَّفُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمُ وأمَّا في نطاق جماعةِ المؤمنين وطوائفِ م..... مرحمون (٢) ﴾ [التلاك : ١٠]. وللإصلاح في كتاب الله فِقْهُ لا بدَّ أن يُفهم ويُسمع، ومَسلكٌ يَجِبُ أَن يُقْتَفَى ويُتَّبَعَ وإلاَّ آلَتْ جهودُ المُصلحين إلى الفشل، وعَجزت مساعيهم عن إصلاح العَطَلِ أو تَدَارُكِ الخَلَل، وأوَّل ما ينبغي العمل به في أوَّل خطوة من خطوات التَّغيير وحتّى في الحالات الشَّاذَّة التي قد يصل فيها والإصلاح، تصحيحُ النّيَّة وتسخيرُ القصدِ لابتغاء الأمر إلى التَّقاطع والتَّدابر؛ بل إلى التَّقاتل والتَّناحُرِ، مرضاةِ الله وحدَه، وتجنُّبِ الأهداف الشَّخصية فإنَّ الله نَدَب إلى الإصلاح لما فيه من قطع السَّبيل والأغراض الدُّنيوية الزَّائلة، قال تعالى: ﴿ لَاخَيْرَ فِي على الأعداء، وحفظِ الأموال وحَقنِ الدِّماء، فقال حَجْثِيرٍ مِّن نَجُوَنهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ جلٌّ ذِكرُه: ﴿ وَإِن طَآبِفُنَانٍ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْنُتَلُوا فَأُصْلِحُوا إِصْلَيْجٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْنِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ٢٠٠٠ [النَّبْ : ١١٤]. بِيَنْهُمَاً ﴾ [القلاق: ٩].

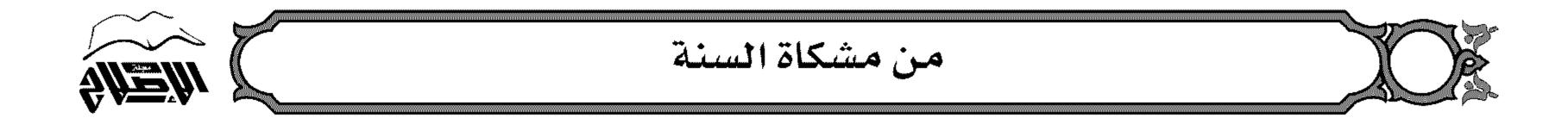
ورعاية شؤُونهم وصَوْنِها من الجَوْرِ والانحراف ومن تعرُّضِها للإهمال والضَّياع، قال تعالى: ﴿ فَمَن خَافَ مِن مُحوصٍ جَنَفٌ أَوْ إِثْمَا فَأَصْلَحَ بَيْهُمْ فَلَا إِثْعَرَ عَلَيْهُ إِنَّ ٱللَّهَ عَفُورٌ رَجِيمُ أَسَى اللهُ اللهُ : ١٨٢]، وقال في شأن اليتامي: ﴿ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْمَتَكَمَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَمَّمْ خَيرٌ وَإِن تَخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَمِنَ ٱلْمُصْلِحُ ﴾ [الله: ٢٢٠]. المسلمين فَلَهُ سُلْطَانُ الحُكْم عليهم وإلزامُهم بما يحفظ عليهم وِئَامَهُمْ ويقوِّي أَوَاصِرَهُم ويدفعُهم إلى تقوى الله وطاعته كما في قوله في مطلع سورة الأنفال: ﴿ يَسْتَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنْفَالِ قُلِ ٱلْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ ٢ ( الأنتاك : ١].



وَالصَّحْطَسُ أَنَ كَرَّ مَا أَدَى إلى الطَّاعة وامتثال الأمر شرفًا وفضلاً أنَّ كلَّ ما أَدَى إلى الطَّاعة وامتثال الأمر والتمشُّك بالكتاب فهو إصلاحٌ والمتحلِّي به هو من الصُلِحِين ﴿ وَالَذِينَ يُمَتِ كُوْنَ إِلَا كِنَنِ وَأَقَامُوا الصَّلَوَة إِنَّا الصُلِحِين ﴿ وَالَذِينَ يُمَتِ كُوْنَ إِلاَحِنَنِ وَأَقَامُوا الصَّلَوَة إِنَّا لانضِيعُ أَجْرَ المُصلِحِينَ ﴿ ﴾ [الله : ١٧٠]. وأنَّ المُصلح يكون في نجاةٍ وأَمْنٍ ونعمةٍ إذا حلَّ بالمفسدين العقابُ والخوفُ والنَّقْمَةُ، ﴿ فَلَوَلا كَانَ مِن المُوْنِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَعَيَةٍ يَهْوَن عَنا الذَّي المَالِحِينَ إِلاً بالمُسدين العقابُ والخوفُ والنَّقْمَةُ، ﴿ فَلَوَلا كَانَ مِن بِلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَعَيَةٍ يَهْوَن عَالَيْ مَا أَنْدِينَ بِعْلَيْهُ وَاللَّهُ مُعْلَى اللهُ الحَالِقُونِ إِلاَ اللَّهُ عَالَهُ اللَّهُ الْعَالَى العَالَ وَالنَّعْمَةُ اللَّهُ العَالَيْ وَالعَالَيْ وَالْعَالَةُ عَالَ اللَّا بالمُولا عَنَ المُعالِحُونَ وَالنَّوْ وَالنَّعْمَةُ وَالْعَانَ وَالْحَوْلُ وَالنَّقُونَ وَالنَّعْمَةُ أَوْلُوا بَعَانَ وَالْحَوْضَ وَالْعَالَةُ مَا أَنْ وَالْعَانَ عَنْ وَالْعَامُونُ وَالْعَامَةُ وَالْعَامَةُ وَالْعَالَةُ وَالْعَانَ وَالْعَالَةُ مَا الْحَابِ فَالْعَانُ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَوْنَ وَالْعَالَةُ وَالْعَامَةُ وَالْتَقْوَ إِلَى وَالْعَانَ وَالْعَامَةُ وَالْعَامَةُ وَالْعَانَ وَالْحَوْفَ وَالْتَقْعَانَهُ مَا أَعْتَكُونَ إِلَى الْحَانَ وَالْعَالَةُ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَانَةُ وَالْعَانِ وَالْعَالَ وَالْعَانَ وَالْعَامَا وَالْعَانَةُ وَالْعَالَةُ وَلَا عَانَ وَالْعَامَةُ وَالْعَامَةُ وَالْوَالْعَانَةُ مَوْنَ عَانَ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَالَى وَالْعَانَ وَالْعَامَةُ وَالاً أَنْ كَلَ مَنْ وَالْعَانَ وَالْوَالْعَامَةُ وَالْحَانَ الْعَانِ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالْعَانَ وَالَةُ مُوالَا عَانَ وَالْعَانَا وَالْعَانَا وَالْعَانَ وَالَعَانَ وَالْعَانِ وَالْعَانِ وَالْعَانِ وَالْعَانِ وَالْعَانَ وَالْعَامَةُ وَالْعَانِ وَالْعَانِ وَالْعَانِ وَالْعَانَ وَالْعَانَا وَالْعَانَ وَالْعَانِ وَا وَالْعَانِ وَالْعَانِ وَالْعَانَ وَالُولُوا وَالْعَانُ وَالْعَا وَالْعَانَ وَالَعَانَ وَالَعَ

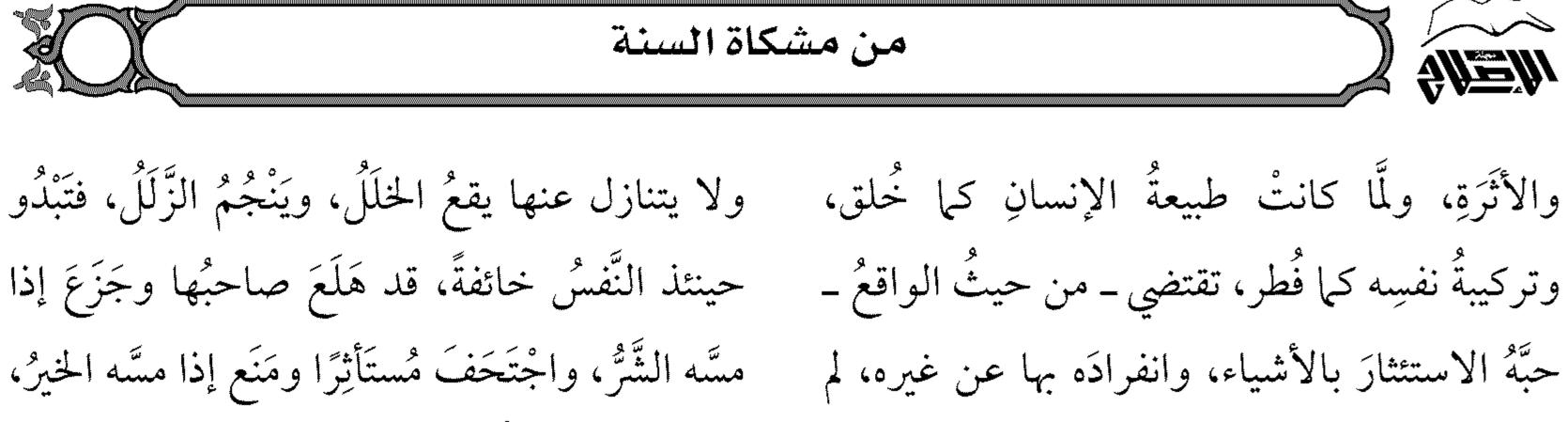
وأنَّه لا صَلاح ولا إصلاح يُعيد للأمَّة الإسلاميَّة اليومَ ما فَقَدَتْهُ من عزِّ الأخلاقِ وسُمُوِّ المنزلةِ وشَرَفِ السُّؤْدَدِ إلاَّ بها صَلَحَ عليه الأوَّلون من رجالاتها وأبنائها، ونسائها وبناتها.





عثبان عيسي

هذا، وقدِ اهتَمَّ الإسلامُ بالإصلاح اهتهامًا بالغًا، وخاصَّةً فيها يتعلَّق بِذَاتِ بَيْنِ المسلمين، فكان في حدِّ ذاتِه مقصدًا من مقاصده الكبرى، وغايةً من غاياته المثلى، جسَّد هذا الإصلاحَ النبيُّ في واقع حياته، وبهَدْيِه القَوْلِيِّ والعَمَلِيِّ، مع الصَّحابة الكرام حياته، وبهَدْيِه القَوْلِيِّ والعَمَلِيِّ، مع الصَّحابة الكرام حياته، وبهَدْيِه القَوْلِيِّ والعَمَلِيِّ، مع الصَّحابة الكرام حياته، ومنويًّ لهم، ودفع كلِّ ضَرَرٍ وأذى عنهم، فنهاهم عن الاختلاف والتَفرُّق والتَشَتُّتِ، وأَمَرَهم بالبعد عن كلِّ أسباب الخصومة والعداوة والبغضاء، وقَطْعِ دابرِ الهجران والكفران، بأنواع شتَّى وطرق متنوِّعة فاضتْ بها السُّنَّة النَّبويَّةُ العَطِرَةُ، وذلك كلُّ لقد تَنَوَّعت ميادينُ الإصلاح في الشَريعة الإسلاميَّة السَّمْحَة، من إصلاح النَّفس باطنًا بالإيهان الصَّحيح، والمعتقد السليم، وتقويم السُّلوكِ والخُلُقِ ظاهرًا كما جاء في عنوانِ الرِّسالة النَّبويَّة وشعارِها: «إِنَّهَا بُعِثْتُ لأُمَّمَّ صَالِحَ الأَخلاقِ»، وتقويم المنْطق بميزان البَيَانِ حِفاظًا على اللِّسانِ، إذ الكلمةُ أصلُ عقيدة أهلِ الإيهان، فأَطْيَبُها كلمةُ التَوحيد، وأخبَثُهَا كلمةُ الشَّرك، وقد رَاعَتِ الشَّريعةُ إصلاحَ الفردِ والمجتمع على حدٍّ سواء، إذ لا مجتمع للنَّاس إلاَ بمجموع أفراده، وإنَّ صلاحَ المجتمع مَبْنِيٌّ على صلاح الفرد وأهليَتِه لِتَحَمُّلِ

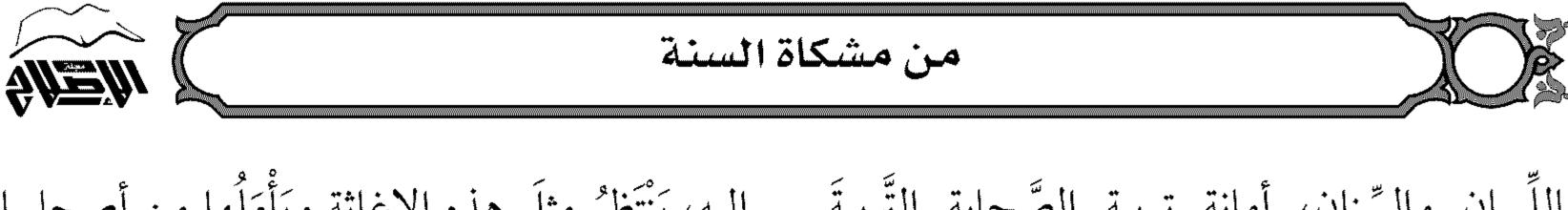


يبحث عن أوَّلِ فُرصةٍ لقطْع حَبْلِ الوِصَالِ، بذريعةِ يُغفل الإسلامُ هذا الجانبَ من طبيعةِ النَّفسِ الاختلاف مع غيره في نَفِيس غالٍ أو في عِقال، أو البشريَّةِ، بل راعى في معالجتها ومداواتها النَّقصَ

بسبب تَأَثَّر بسوء أقوالٍ أو فِعال... ومن لوازم ذلك؛ وقوعُ التَّعادِي والتَّباغضِ والتَّدابرِ والتَّنافرِ والتَّقاطع، بل والتَّقاتل بين النَّاس، وقد حُرِّم عليهم ونْهُوا عنه؛ فيضيق حالْهُم، ويَنْكَسِف بِالْهُم. ولم تَخْلُ سنَّةُ نبيِّنا ﷺ من دعوةٍ إلى الإصلاح وحتٌّ عليه، وبيانٍ لوسائله وسُبُلِهِ، ومن تَنَسَّمَ وحيَ الشُّنَّةِ العَطِرَةِ، وتَدَثَّرَ بِدَثَارِهَا، وأعمل الفكرَ في استنباط الأحكام منها والحِكَم، واستخراج الإرشادات والقِيَم، والْتِمَاسِ المواعظِ والعِبَرِ، وَفْقَ منهج دقيقٍ سليم، وتأصيلٍ راسخ قويم، أدرك ذلك بيقين، فقد جاء الأمر بإصلاح ذات بين المؤمنين، ورأب صَدْعِهِمْ، وسلَّ سَخَائِم قلوبهم، والتَّأليفِ بينهم، وَلَمَّ شعثِهم، وجمع شملِهم،

الموجودَ فيها، والضّعفَ المتمكّنَ منها؛ ضعفٌ من آثاره: سرعةُ الانفعال، وشدَّةُ التَّأَثُّر، واضطرابٌ عند زوال ما تَلَذَّهُ النفسُ وتشتَهِيهِ، أو تَوَهُّم ذهابِهِ وفُواتِه، وما يقع لها من قِلَّة حلم مع الغَرِيم منَ المعَاشَرين والمشارَكين، \_ مما لا يكاد يَسْلَمُ منه أحدٌ مَمَّن لأَبَسَ النَّاسَ وخالطهم باستثناءِ قليل من المؤمنين حقًّا، والعاملين الصَّالحات صِدقًا \_، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ وَإِنَّكْتِيرًا مِّنَ ٱلْخُلُطَاءَ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَنْتِ وَقَلِيلُمَّاهُم ﴾ [عَنْ: ٢٤]. وَمَرَدُّ ذلك إلى الشُّحّ المُطَاع، والهوى المتَّبَع، كما قال جلَّ وعلا: ﴿ وَأَحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشَّحُّ ﴾ [النَّكَة : ١٢٨]. قال ابن عباس حين الشَّحْ: «الشَّحُّ: هَوَاهُ في الشَّيء

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٢٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧

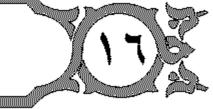


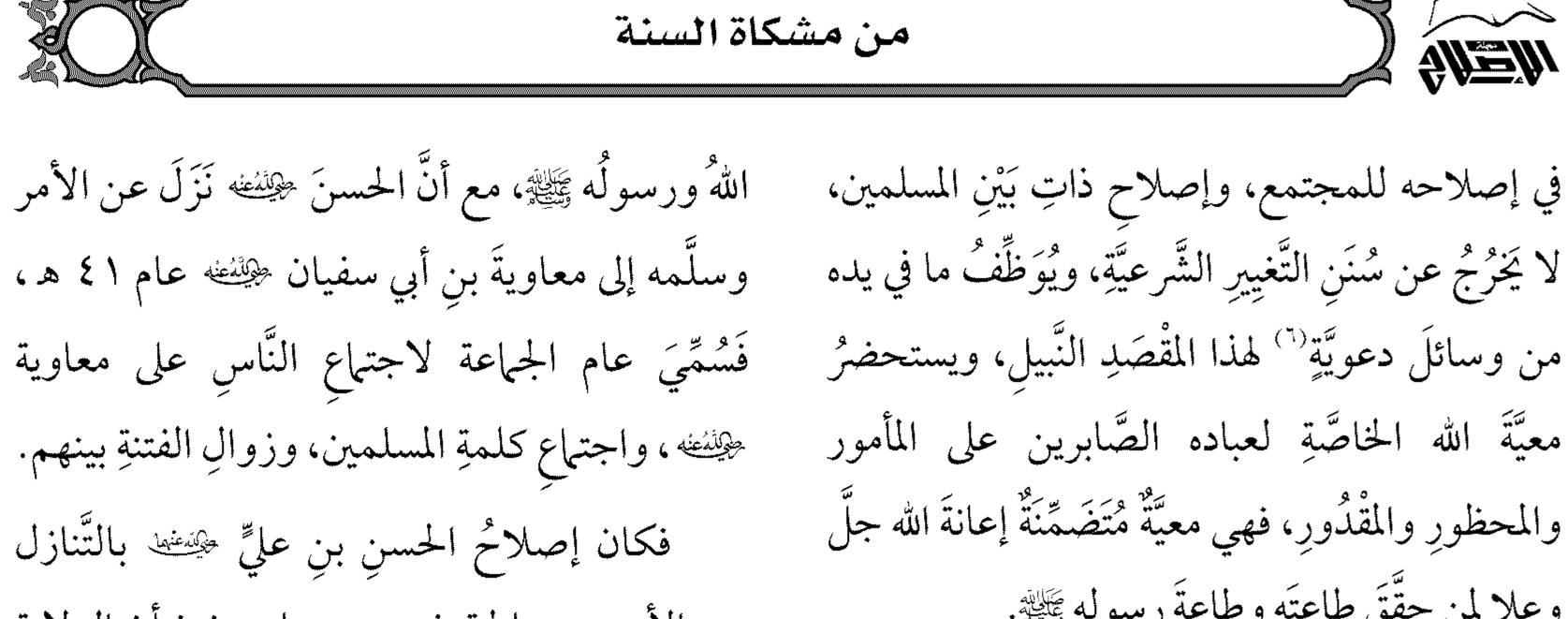
إليه، يَنْتَظِرُ مثلَ هذه الإغاثةِ ويَأْمَلُها من أصحابها الصَّالحين المُصلِحين، من العلماء الرَّبَّانِيِّينَ، وطلبةِ العلم الموَثَّقينَ، الَّذين يَدْعُون الخلقَ إلى التَّوحيد الخالص، ويُبدِّدُون ظلماتِ الشِّرك والوثنيَّة، ويربُّون النَّاسَ على السُُنَّةِ النَّبَوِيَّةِ المحمَّديَّةِ، ويمحُون آثارَ

باللِّسانِ والسِّنان، أمانةِ تربيةِ الصَّحابةِ التَّربيةَ الإيمانيَّة، ورعايةِ شؤونهم حقَّ الرِّعاية، قال اللهُ جلّ وعَلا: ﴿ ٱلنَّبِي أَوْلَى بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِمٍ ﴾ [الأَخْتَلَهُ : ٦] قال مجاهد: «هُو أَبٌ لهم»<sup>(٢)</sup>، ومصداقٌ ذلك قولُ النَّبِيِّ عَظَيْ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الوَالِدِ»<sup>(")</sup> الحديث. أي: «في الشَّفقة والحُنوِّ... وفي تعليم ما لا بُدَّ منه» (٤). ومن شأنِ المصْلِح أنْ يقومَ بالإصلاح بنفسه، ويقوِّمَ بالإصلاح غيرَه، ولا يُوكِلُ مُهِمَّةَ ذلك لمن خلفَه، أو يتَّكِئُ للقيام بهذا الواجب على من بعدَه، بل يسعى بنفسِه، بشدَّة ساقَيْهِ وذراعَيْهِ، لإصلاح الدَّانِي والقاصِي، سعيًا مدفوعًا بإخلاصٍ لله تعالى وإرادةٍ لوجهِهِ الكريم، ورغبةٍ في ثوابه، وهمَّةٍ ونشاطٍ واندفاع بحقٍّ وللحقِّ، وسعي بحَزْم على بصيرة، وقد عبَّر النَّبِي عَظَّةٍ في حديثِ الصَّدقاتِ عن شيء من ذلك فقال «...وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ المُسْتَغِيثِ، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، كُلّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى 

المحدثات البدعيَّة، حاملين راية الإصلاح خَفَّاقةً شَامِخِةً، راجين من الله تعالى لدعوتهم النَّجاحَ، وللعبادِ جميعًا الفلاحَ. ومن هذا الإصلاحِ المرجُوِّ، إصلاحُ ذاتِ ومن هذا الإصلاحِ المرجُوِّ، إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ، وهو جُهْدٌ وعملٌ لا غِنَى لجهاعة المسلمين عنه، فحاجتُهم إليه وإلى من يقُوم به من المخلِصين، شيءٌ يُدْرِكُه مَن يعلم مقدارَ الثَّلْمِ الذي يُحِدِثُه الفسادُ والإفسادُ بين المسلمين، ويعلمُ مقدارَ الشَّرِخِ الكائنِ في الأمَّة بسبب الأدواء والأهواء الفرِّقَةِ لها، والقاضيةِ عليها وعلى وحْدَتِها، من أسباب التَّنازع ومُوَرَّتَاتِ الفَشَلِ وذهابِ الهيبةِ، مِتَا يُوهِنُ أمرَ الأمَّةِ في الدَّاخل، ويوهنُ شأنها في

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧



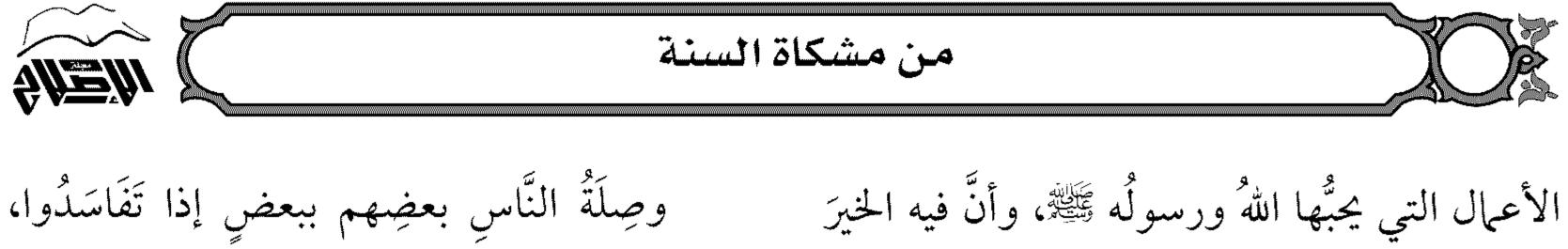


عن الأمرِ ومصالحةِ غيره، \_ وما دون شأنِ الوِلاية آهُوَنُ وأَيْسَرُ \_، فنالَ هِنْكَ ـ بتنازُله هذا \_ سيَادَةً إلى سيادَتِه الَّتي كان عليها، قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّد، وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٥)</sup>، وعند أحمد: «إِنَّ ابْنِى هَذَا سَيِّد، وَسَيُصْلِحُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ

والملاحظُ في هذا الحديث أمران: ا ـ ذكرُ النَّبِيَ عَظِيرُ لسِيادة الحَسنِ هِنْكُ وهو لا يَزَالُ طِفْلاً صغيرًا يلعبُ، قال الحُسَنُ: (وهو البصري)<sup>((1)</sup>: «وَلَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرَةَ قَالَ: بَيْنَا البَّبِيُّ يَخْطُبُ جَاءَ الحُسَنُ<sup>((1)</sup>) فَقَالَ النَّبِيُّ عَظَي: (انْ: هَذَا بَرَّنْ سَالِحَدِيثَ وعلا لمن حقَّق طاعتَه وطاعة رسولِه على الله هذا، وإنَّ أَوْلَى النَّاس بإصلاح ذات بَيْنِهم؛ هذا، وإنَّ أَوْلَى النَّاس بإصلاح ذات بَيْنِهم؛ الوالدان؛ فيحرِصُ المرءُ على أن يكونَ واصلاً لوالديه، مُوصِلاً لأحدِهما بالآخر، وهكذا الأمرُ مع الزَّوجين، والأقاربِ من العَصَبَةِ وذوي الأرحام، والجيرانِ لعِظَمِ حقِّهم في الإسلام، وسائرِ المسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات...

وإصلاحُ ذات البَيْنِ، يقتضي \_ في كثير من الأحيان \_ تَنَازُلاً منَ المرءِ، فيها ليس بواجبٍ ديانةً، مطاوعةً منه لإخوانِه، مع سِعَةِ صدْرٍ وحُسْنِ ظَنِّ، ليرى ثمرة إصلاحِه في الدُّنيا قبل الآخرة، ومن أعظم ثمراتها الشُؤددُ بحقٍّ، إذِ الشُؤددُ والرِّفعةُ إنَّها تكون بالعلمِ والعملِ والتَّعليمِ والإصلاحِ<sup>(۷)</sup>



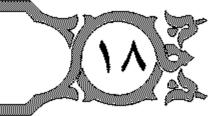


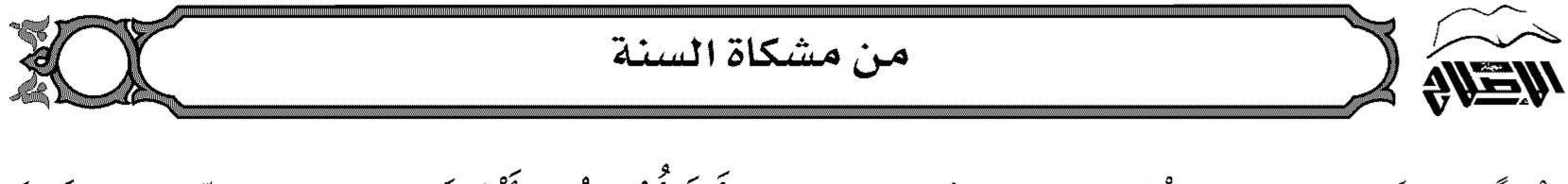
والتَّقرِيبُ بينهم \_ بالشَّرع الحنيفِ \_ إذا تَبَاعدوا، يستدعي وجودَ قَصْدٍ سليم، ونيَّةٍ صالحةٍ صادقةٍ، إذْ لا يُوفِّق للإصلاح بين النَّاس إلاَّ من صَفَتْ سَرِيرَتُهُ، وحَسُنَتْ طَوِيَّتُه، قال اللهُ جَلّ وعلا في

كلَّ الخيرِ، كما قال الله جلَّ وعلا: ﴿ وَٱلصَّلَحُ خَيرٌ ﴾ [النَّبَة : ١٢٨]، فحصل المقصودُ وبالله التَّوفيق. قال الحافظ ابنُ حجر في «الفتح» (١٣/ ٨٤):

«قال المهلَّبُ: الحديثُ دالٌّ على أنَّ السِّيادةَ إنَّما يستحقُّها من يَنْتَفِعُ به النَّاسُ، لكونِه علَّق السِّيادةَ بالإصلاح» اه. وأيُّ منفعةٍ أرجى للمسلمين من حَقْنِ دمائِهم، وتأمينِ رَوْعَاتِهم، والحفاظِ على ضروريَّاتِ معاشِهم، ومَنْ حقَّق لهم ذلك \_ ولو بالتَّنازل عن الأمر \_ كان سَيِّدًا عند الخلْقِ، وأحبَّهم عند الخالِق، كما قال عَظِيرٌ: «أَحَبُّ النَّاسِ إلى الله تعالى أَنْفَعُهُم لِلنَّاس...»<sup>(۱۳)</sup> الحديث. ولهذا كان إصلاح ذاتِ بَيْنِ المسلمين وصلاحُ حالِم، أفضل من درجة الصِّيام والصَّلاة والصَّدقة، وذلك لما فيه من حُسْنِ المعاشرة والمناصحةِ والتَّعاون على البرِّ والتَّقوى، وكان من أفضل الصَّدقاتِ التي

الصُّلح بين الزَّوجين: ﴿ إِن يُرِيداً إِصْلَحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ ٱللَّهُ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ( ( السَالَة : ٣٥]. قال ابنُ عبَّاس هين : ﴿ إِن يُرِيداً إِصْلَحًا ﴾: «هُما الحَكَمان» (٥٠). وقال مجاهد: «أَمَا إِنَّه ليسَ بِالرَّجلِ والمرأةِ، ولكنَّه الحَكَمان». ومعنى الإرادةِ المذكورةِ في الآية: «خلوصُ نِيَّتِهِمَا (المصْلِحَيْن) لصَلاَح الحالِ بين الزَّوجين» (١٠). وهذا يدلَّ على أنَّ صَلاحَ نِيَّةِ الْحَكَمَيْنِ له أثرٌ في التَّوفيق بين الزَّوجين، وقد وَجَدْتُ كلامًا للشَّيخ محمَّد الطَّاهر بنِ عاشُور في بيانِ وتقريرِ هذا المعنى، قال \_ رحمةُ الله \_: «وقولُه تعالى: ﴿ إِن يُرِيدا إِصْلَحًا ﴾: يحبُّ اللهُ ورسولُه رضَّعَها، ومن أنفع التِّجارةِ الظَّاهرُ أنَّه عائدٌ إلى الحَكَمَيْنِ؛ لأنَّهما المسُوقُ لهما الكلامُ، واقتصَرَ على إرادةِ الإصلاح؛ لأنَّها الّتي بين العبدِ وربِّه، كما قال رسولُ الله ﷺ لأبي أيُّوبَ حِيْنُفْ : «أَلا أَدُلَّكَ عَلَى تِجَارَةٍ ؟»، قال: بلى؛ قال: «صِلْ يجبُ أن تكونَ المقصدُ لوُلاَةِ الأمور والحَكَميْنِ، بَيْنَ النَّاس إِذَا تَفَاسَدُوا وَقَرِّبْ بَينَهُم إِذَا تَبَاعَدُوا» (٤٠٠). فواجبُ الحَكَميْنِ أن ينظرَا في أمر الزُّوجين نظرًا



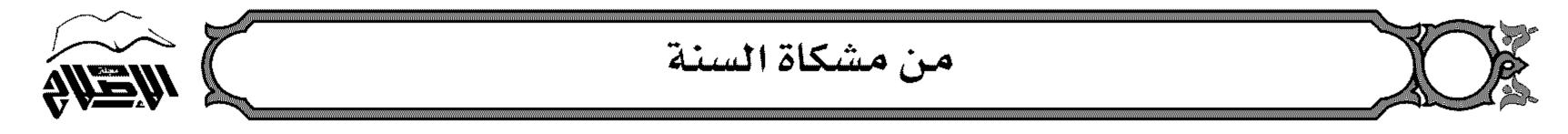


نا، «أَلاَ أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلاَةِ وَالصَّدَقَةِ؟»؛ قَالُوا: بَلَى؛ قَالَ: «صَلاَحُ ذَاتِ البَيْنِ؛ فَإِنَّ فَسَادَ ذَاتِ البَيْنِ هِيَ الحَالِقَةُ»<sup>(٢)</sup>، وقد جاء تفسيرُ الحالقةِ مرفوعًا من قول النَّبِيِّ عَظَاءَ لَا أَقُولُ تَخْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَخْلِقُ الدِّينَ»<sup>(٢)</sup>.

مُنْبَعِثًا عن نيَّةِ الإصلاح، فإنْ تَيَسَّرَ الإصلاحُ فذلك، وإلاّ صارًا إلى التَّفريقِ، وقد وعدَهُما اللهُ بأنْ يُوَفِّقَ بينهما إذا نَوَيَا الإصلاحَ، ومعنى التَّوفيقِ بينهما؛ إرشادُهما إلى مصادفةِ الحقِّ والواقع،...» (١٧) اه. هذا كلَّه في الإصلاح بين الزَّوجين، فكيف بالإصلاح بين النَّاس فيما هو أعظمُ شأنًا من بُضْع امرأةٍ! \_ كشأنِ الدِّماءِ ونحوِها \_، فصلاحُ النَّيَّةِ في ذلك أَوْلَى وأَوْلَى، ولهذا لمَّا ناظرَ ابنُ عبَّاس هَيَض الخوراج، استدلّ عليهم بهذه الآية الكريمة، وذلك في مسألة التَّحكيم المعروفةِ، فكان ممَّا قال عينيه: «وفي المرأةِ وزوجِها: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمُ سِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكْمًا مِّنْ أَهْلِهَا ﴾ [الناب ٣٥]، فنشدتُكم بالله (١٠) حُكمَ الرِّجالِ في صلاح ذاتِ بينِهم وحقنِ دمائهم أفضلُ من حكمهم في بُضع امرأةٍ؟...»<sup>(۱۹)</sup>. فإصلاحُ ذاتِ بَيْنِ المسلمين أكبرُ عندَ الله، وأعظمُ حرمةً من الإصلاح بين الزَّوجين؛ لأنَّ

قال البَاجِي: «قال الأَحْفَشُ: أصلُ الحَالِقَةِ من حَلَقَ الشَّعْرَ، وإذَا وَقَعَ الفَسَادُ بَيْنَ قومٍ مِنْ حَرْبِ أَوْ تَبَاغُضٍ حَلَقَهُمْ عَنْ البِلَادِ؛ أَيْ: أَجْلَتْهُمْ وفَرَّقَتْهُم حَتَّى يُخْلُوهَا، وَيُحْتَمَلُ عِنْدِي أَنْ يُرِيدَ أَنَّهَا لَا تُبْقِي شَيْئًا مِنْ الحَسَنَاتِ حَتَّى يَذْهَبَ بِهَا كَمَا يَدْهَبُ الحَلْقُ بِالشَّعْرِ مِنْ الرَّأُسِ حَتَّى يَتْرُكَهُ عَارِيًا» اه<sup>(٢٢)</sup>. فَعُلِمَ منَ الحديثِ أَنَّ فسادَ ذاتِ اللَّين تحلق اللَّينَ وتمْلِكُه، وتسْتَأْصِلُه كما يَسْتَأْصِلُ الموسَى والضَّعْرَ، وذلك لكثرةِ ما يترتَّب عليه من الفساد والضَّغائنِ، وكثرةِ ما يترتَّب عليه من الفساد وتَشْتِيتِ القلوبِ وَوَهَنِ الأَديانِ، وتسليطِ الأعداء وشَمَاتَةِ الحُسَّادِ، فلذلك صار مقابلُه \_ إصلاحُ ذات

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٢٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧

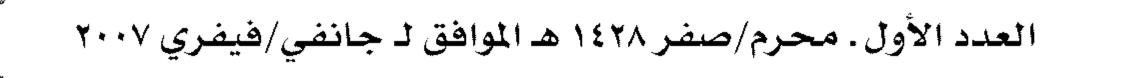


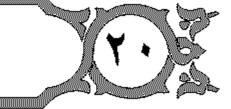
الإسلام ابنُ القيِّم: «فالصُّلحُ الجائزُ بين المسلمين (١٢) وعند البيهقي في «دلائل النبوة»: «...إذْ جاء الحسن ابنُ عليٍّ فصعدَ المنبرَ». هو الَّذي يُعْتَمَدُ فيه رِضَى الله سُبحانه ورضَى (١٣) حسن: رواه الأصبهاني عن عبد الله بن عمر ميسنها. الخصْمَيْنِ، فهذا أَعْدَلُ الصُّلح وأحقُّه، وهو يَعْتَمِدُ انظر: «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٥٩/ ٢٦٢٣) العلمَ والعدلَ، فيكونُ المُصْلِحُ عالما بالوقائع، عارفًا و «السِّلسة الصَّحيحة»: (٩٠٦). بالواجب، قاصدًا للعدل، فدرجةُ هذا أفضلُ من (١٤) حسن لغيره: رواه البَزَّار، انظر: «صحيح التَّرغيب درجةِ الصَّائم القائم...»<sup>(٢٤)</sup>؛ وهذا سِرٌّ بَديعٌ في فقه والتَّرهيب» (٣/ ٤٥ / ٢٨١٨). الإصلاح، واللهُ الموفِّقُ لا ربَّ سِواه. (١٥) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريها بسند حسن. (١٦) «فتح القدير» للشوكاني (٢/ ١٣٩). (١) أخرجه الطبري وابن أبي حاتم في تفسيريهما بسند حسن. (١٧) تفسير «التَّحرير والتَّنوير» (٥/ ٤٧). انظر: «التفسير المختصر الصحيح» (ص١١٤). (١٨) يقول هذا ابنُ عباس مُحْسَضً مخاطبًا الخوارج. (٢) أخرجه آدم بن أبي إياس في «تفسيره» بسند صحيح. (١٩) أَثَرٌ صحيح، أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» انظر: «التفسير المختصر الصحيح» (ص٤٤٩). (١٨٦٧٨/١٥٧/١٠)، وأخرج بعضَه أحمد في (٣) حسن: رواه أبو داود (٨). ط/ بيت الأفكار الدولية. «المسند» (رقم٦٥٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤) «فيض القدير» للمُناوي (٢/ ٧٢٣). (٣١٩/١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٥) صحيح: رواه أحمد في «المسند» (رقم ٢١٨١٦). (۱۰۰۹۸/۲۵۷/۱۰)، وغیرهم، قال شعیب ط/بيت الأفكار الدولية. الأرنؤوط في تعليقه على «المسند»: إسناده حسن. (٦) وهي وسائلُ تَوْقِيفِيَّةٌ لا تُستبدل بغيرها بزعم «المصلحة وانظر: «مناظرات السَّلفِ» (ص٩٥) للشَّيخ سليم الهلالي. الدعوية»! (٣٠) صحيح: رواه أبو داود (٤٩١٩)، والترمذي (٢٥٠٩) (٧) انظر تأصيلاً نفيسًا في «نَيْلُ الشُّوَدَدِ بالعلم»؛ للأخ الشيخ ط/بيت الأفكار الدولية. عبد المالك رمضاني في كتابه «سِتُّ دُرَرٍ من أصولِ أهل

الأثر» (ص٧٧)، طبعة منار السبيل/ عام ١٤٢٢هـ. (٢١) حسن لغيره، انظر: «صحيح التَّرغيب والتَّرهيب» (٨) «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٩٤) و(٣/ ٥٥٦) بتصرُّف. (٣/ ٤٤/ تحت رقم ٢٨١٤) و«غاية المرام» (٤١٤). (٩) أخرجه البخاري (٢٠٧٤) وغيره. (٢٢) «المنتقى» (٤/ ٢٩١). (١٠) في «المسند» (رقم ٢٠٧٢). ط/ بيت الأفكار الدولية. (٢٣) «فيض القدير» (٣/ ١٣٧) بتصرف.

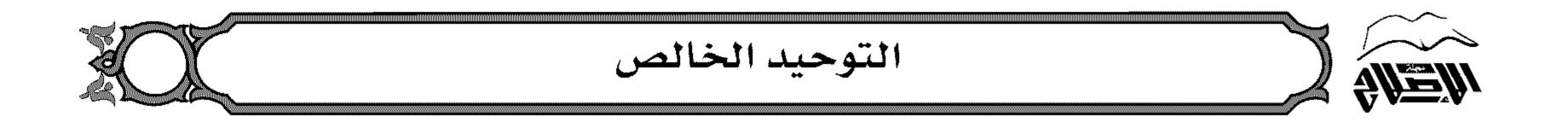
(١١) كما استظهر ذلك الحافظُ في «الفتح» (١٣/ ٨٢ ـ ٨٣).

(٢٤) «إعلام الموقِّعين»: (١/ ١٠٩ \_ ١١٠).





دعوة التوحيد هي دعوة الحق

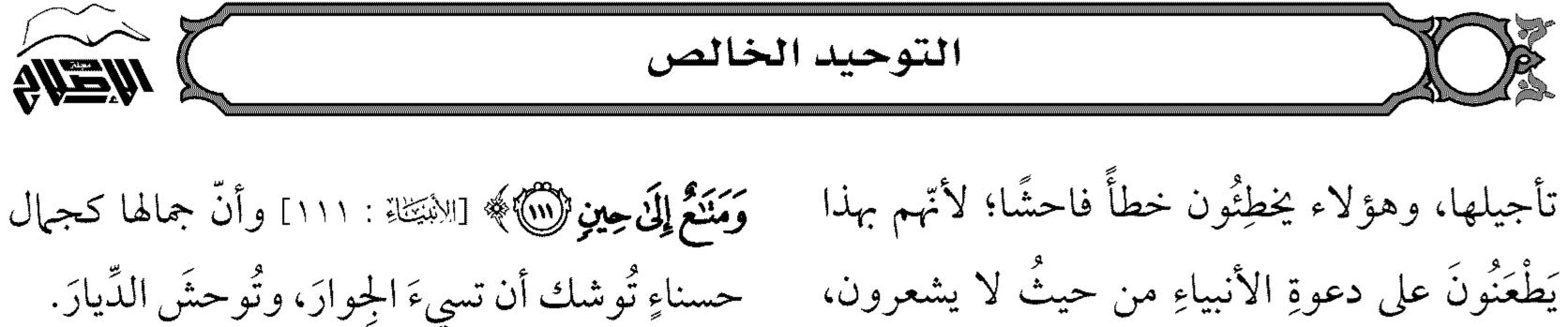


عبد المالك رمضاني

الثانية: أنَّ كلَّ دعوةٍ لم تُؤَصَّلْ على التَّوحيد ولم تؤسَّسْ عليه فلا نَفْعَ فيها ولا ثبوت لها ولا قرار في الدَّنيا، ولا أجرَ فيها يوم القيامة، ولو لم يكن فيها إلاَّ مخالفة جميع الرُّسل لكفي به إثمًا، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهُ إِلَهُ إِلَا أَنَافَاعُبُدُونِ ٢٥].

وفي هذا أبلغُ واعظٍ للدَّعوات التي لا تَهْتَمُّ بالتَّوحيد أوْ لا تركِّز عليه، فكيف بدعوةٍ تجهل التَّوحيد من أصله ولا تفرِّق بين التوحيد والشِّرك؟! فكيف بدعوةٍ تحارب التَّوحيدَ وأهلَه؟! وهذا التَّفسير السَّلَفِيُّ المختارُ واضحُ المعنى وكم همُ الَّذين لم تَنْشَرِحْ صدورُهم لهذه الدَّعوة المباركة؛ بزعم أنَّ الدَّعوة إلى التَّوحيد تُنَفِّر من جهتين: الأولى: السِّياق؛ فإنَّ ما بعده يدلُّ عليه على وجه النَّاس عن الدِّين، أو أنَّ النَّاس يَمَلُّون خِطابَها ولا ينفعلون معها، وأنَّ الحكمةَ تقتضي من صاحبها المقابلة، وذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ﴾ الآية.

قال الله تعالى: ﴿ لَهُ دَعُوَهُ لَلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِبَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِغِهِ وَمَا دُعَامُ ٱلْكَفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَكُ فَ التَحْدِ : ١٤]. روى ابن جرير \_رحمه الله\_ في «تفسيره» (١٣/ ٤٨٥ \_٤٨٦) عن عليّ بن أبي طالب أنَّ دعوةَ الحقِّ في الآية هي التَّوحيد، ورواه أيضًا عن ابن عبَّاس وقتادة وابن زَيْدٍ، ويمكن أن يُراجع له «تفسير عبد الرَّزَّاق» (٢/ ٣٣٤) و«الدُّعاء» للطَّبراني (١٥٨٠ ـ ١٥٨١)، و«الفوائد المتتقاة عن الشَّيُوخ العوالي» لأبي الحسن الحربي (٨٦) و «الأسماء والصِّفات» للبيهقي (٢٠٤).

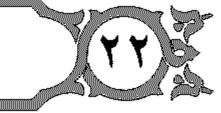


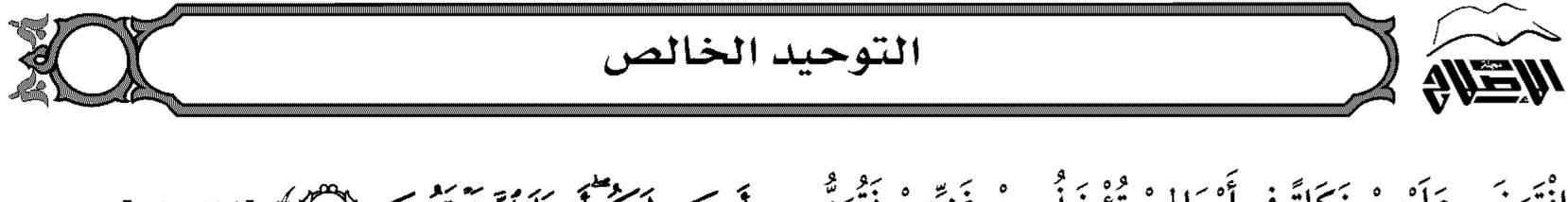
وقد ذكر الله في كتابه وصيَّة لقهانَ لابنه، وذكر أنَّ أوَّلَ شيء وعَظَهُ به هو التَّحذيرُ من الشِّرك، فقال: **وَلِذِ قَالَ لَقَمَنُ لِابَّذِهِ وَهُوَ يَعِظُدُ يَبُنَى لَا تُنْعِلَ اللَّهِ إِلَى النَّبَرُكَ لَظُلَرُ عَظِيرٌ (٣) (النَّحَان : ١٦)، وذكر ع**زَّ وجلَّ أنَّه آتى لقهانَ الحكمةَ، فقال: **وَلَقَدَ مَايَدًا لَقَمَن** تأَنَّه آتى لقهانَ الحكمةَ، فقال: **وَلَقَدَ مَايَدًا لَقَمَن** تأجيلَ الحديث عن التَّوحيد والشِّرك هو الحكمةُ؛ بحجَّة أنَّ مخالفة ما ادَعَوْهُ يُنَفِّرُ النَّاس الَّذين اعتادُوا بعض الطُّقُوس الشِّركيَّة!! وقارِئُ هذه الآية الكريمة بعض الطُّقُوس الشِّركيَّة!! وقارِئُ هذه الآية الكريمة الحكمة، ولَطَعَنَ على كتاب الله من حيثُ لا يشعر، فاللهُ يصفُ الدَّاعي إلى التَوحيد؛ بل البَادِئَ به بالحكمة، فاللهُ يصفُ الدَّاعي إلى التَوحيد؛ بل البَادِئَ به بالحكمة، وهم يخالفُون ذلك! فليكن هؤلاء المخالفون لحكمة لقهانَ أوَّل المستفيدين من هذه الموعِظة، وسيِّدُ الحكماء رسولُ الله عن يقولُ لمعاذ بن جبل هي لما أرسله إلى

ومنه جعلُ الأنبياءِ غيرَ حكماءِ!!! وإنَّه لمن حُسْن الاختيارِ أن تُسمِّيَ بعضُ المؤسَّساتِ التعليميَّةِ الكلَّيَّةَ المختصَّةَ بالعقيدة: كلَّيَّة الدَّعوة؛ لأنَّ الدَّعوة إلى معتقد السَّلف الصَّالح من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسانٍ هي أصلُ الدَّعوةِ ورَكِيزَتُها الأُولَى، ومَهْمَا دَعَتِ الجماعات والجمعيَّات \_ فضلاً عن الأفراد \_ إلى الأبواب الأخرى من علوم الدِّين، فإنَّ عملَهم لا يُعدُّ شيئًا، حتَّى يُعْنَوا بحقٍّ الله عزَّ وجلَّ الَّذي هو أن يُفْرَدَ سبحانه بالعبادة لا تأخذُهم في ذلك لَوْمَةُ لائِم، مُقَدِّمِينَ حتَّى الله على جميع الحقوق، ومقتدين في ذلك برُسل الله عزَّ وجلَّ، متيقِّنين بأنَّ هديَهم هو أكملُ هدي، وأنَّ الشُّبل الدَّعويةَ الأخرى مهما كَثُرَ أَتْبَاعُها وتمكَّن أَشْيَاعُها فإنَّما هي تزيينٌ من الشَّيطان، قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَنَ زُبِّنَ لَهُ سُوء عَمَلِهِ فَرُواهُ حَسَناً فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهَدِى مَن يَشَاءُ فَلَا نَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ

حَسَرَتٍ إِنَّ ٱللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَصَنَعُونَ (٢) (افاطر: ٨]، مُدرِكين اليمن داعيًا: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، بأنَّ تَجَمْهُر الناس حولَ خُطِبِهم الرَّنَّانَةِ الغنيَّةِ من فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللهَ تَعَالَى، فَإِذَا كلِّ شيءٍ سوى التَّوحيدِ والسُّنَّةِ، ما هُو إلاَّ فِتْنَةٌ لهم؛ عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَسْ كل شيءٍ سوى التَّوحيدِ والسُّنَةِ، ما هُو إلاَّ فِتْنَةٌ لهم؛ عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَسْ كل شيءٍ سوى التَّوحيدِ والسُّنَةِ، ما هُو إلاَّ فِتْنَةٌ لهم؟ عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرُهُمْ أَنَّ الله قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَسْ

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧





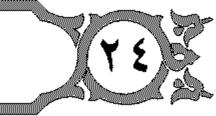
افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالهِمْ تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيَّهِمْ فَتُرَدُ أَذِبَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ( ) [200: 09].
عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ
مَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ
أَمْوَالِ النَّاسِ». متَّفق عليه من حديث ابن عبَّاس.
أَمْوَالِ النَّاسِ». متَّفق عليه من حديث ابن عبَّاس.
مَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ
أَمْوَالِ النَّاسِ». متَّفق عليه من حديث ابن عبَّاس.
أَمْوَالِ النَّاسِ». متَّفق عليه من حديث ابن عبَّاس.
مَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقُرُوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ
مَنْ الدَّعوة إلى الله تارة، وتارة بالدَّعوة إلى سبيله، كما
أَمْوَالِ النَّاسِ». متَّفق عليه من حديث ابن عبَّاس.
مَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا التَّاسِ». متَّفق عليه من حديث ابن عبَّاس.
مَلَى أَلْمُ اللَّالِ النَّاسِ». متَّفق عليه من حديث ابن عبَّاس.
مَالدَعوة إلى اللَّا توارة، وتارة بالدَّعوة إلى سبيله، كما
مَتَابِعِين لا مُبْتَدِعين، وعظِّموا حقَّ الله تعظُمُوا في عَيْنِ
مَتَبِعِين لا مُبْتَدِعين، وعظِّموا حقَّ الله تعظُمُوا في عَيْنِ

صَلَّى سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ١٢٥]؛ وذلك أنَّه قد عَلِمَ أنَّ الدَّاعيَ الَّذي يدعو غيرَه إلى أمر لابدَّ فيما يدعو إليه من أمرين: أحدهما: المقصودُ المرادُ، والثَّاني: الوسيلةُ والطَّريقُ الموصلُ إلى المقصود، فلهذا يَذْكُر الدعوةَ تارةً إلى الله، وتارةً إلى سبيله، فإنَّه سبحانه هو المعبود المرادُ المقصود بالدَّعوة... وذلك يتعلَّق بتحقيق الألوهيَّة لله وتوحيده وامتناع الشِّرك، وفساد السَّموات والأرض بتقدير إله غيره، والفرق بين الشِّرك في الرُّبوبيَّة والشِّرك في الألوهيَّة، وبيان أنَّ العباد فُطِرُوا على الإقرار به ومحبَّتِه وتعظيمه، وأنَّ القلوب لا تصلح إلاَّ بأن تَعبدَ اللهَ وحده، ولا كمال لها ولا صلاح ولا لذَّة ولا سرور ولا فرح ولا سعادة بدون ذلك وتحقيق الصِّراط المستقيم؛ صراط الَّذين أنعم الله عليهم من النَّبِيِّين والصِّدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وغير ذلك ممَّا يتعلَّق بهذا الموضع الَّذي في تحقيقه تحقيقُ مقصودِ الدَّعوة النَّبويَّة والرِّسالة الإلهية، وهو لبُّ

الله، ولا يَغُرَّنَّكُم تصفيقُ أتباعِكُم، وكثرةُ أشياعِكم، وجرُّ أذيالِكم؛ فإنَّهم لن يغنوا عنكم يوم القيامة من الله شيئًا، ولن تنجح دعوتُكم أبدًا ما أعرضتُم عن دعوة الحقِّ، وكلَّ تجرِبَة دعويَّة ترونَها جميلةً لمَّاعةً، وللجماهير جمَّاعةً، وللقلوب ميَّالةً، وللدَّموع سيَّالةً، فلا تسلِّموا لها حتَّى يكونَ عليها برهانٌ من صاحب الشَّريعة؛ فإنَّ الدَّعوة \_ كغيرها من مهمَّات الدِّين \_ لا تكون إلاَّ بإذنٍ من الله وتشريعِه، لا التَّجارِب والعواطف والاستجابة لرغبات العوامّ. قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوي» (١٥/ ١٦١ \_ ١٦٤): «ودعوتُه إلى الله هي بإذنه، لم يشرع دينًا لم يأذَن به الله؛ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَكَ شَنْهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ٢ وَدَاعِيًّا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ف [اللجواني : ٤٥ \_ ٤٦]، خلاف الذين ذمَّهم في قوله: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَ تَوْأَ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ ٱلَّذِينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ أَلَنَّهُ ﴾ [النَّبْخَكَ : ٢١]، وقد قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمُ مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ مِّن رِزْقٍ فَجَعَلْتُ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَاكًا قُلْ ءَآلَلَّهُ



وقد نبَّه القرطبيُّ \_رحمه الله \_ في «الجامع القرآن وزبدتُه، وبيان التوحيد العلميِّ القوليِّ المذكور في قوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَكُ ۞ ٱللَّهُ ٱلصَّكَدُ لأحكام القرآن» (٢/ ١٩٠) على نكتةٍ بديعةٍ في مناسبةِ قول الله تعالى: ﴿ وَإِلَيْهُكُمْ إِلَهُ أُوَحِدٌ لَا إِلَهُ إِلَهُ أُوَعَدُ اللجلاط: ١ ـ ٢]، والتُّوحيدِ القصديِّ العمليِّ **ٱلرَّحْمَنُ ٱلرَّحِيمُ أَنْ آَنَ اللَّكَةِ : ١٦٣] لَا يَةٍ قَبِلَها، وهي** المذكور في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَيُّهُا ٱلْكَغِرُونَ ٢) ( [الكافلات : ١]، وما يتَّصل بذلك؛ فإنَّ هذا بيانٌ قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنَزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَتِ وَٱلْحُدَىٰ مِنْ لأصل الدَّعوةِ إلى الله وحقيقتِها ومقصودِها». بَعْدِ مَا بَيَّكَ لَلِنَّاسٍ فِي ٱلْكِنَبِ أَوْلَتِهِكَ يَلْعَبُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَبُهُمُ **ٱللَّعِنُونَ (أُنْ اللَّقَدْ: ١٥٩]، فقال: «لَمَّا حذَّر تعالى** وهذا مقامٌ شريف، بل هو أشرفُ مقام قامه من كتمان الحقِّ، بيَّنَ أَنَّ أَوَّل ما يجب إظهاره ولا الدَّاعي إلى سبيل ربِّه، وَلَوْ فَرَغْتُ له وجَرَّدْتُ يجوز كتمانه التَّوحيد، وَوَصَلَ ذلك بِذِكْرِ البرهان». قلمِي لَهُ خالصًا ما أَدَّيْتُ ما يجب لله عليَّ فيه، وإنَّما أردتُ بهذه الفائدة أمرين: الثاني: التَّذكير بأنَّ تفسير السَّلف هو أحسنُ تفسير، وإنْ نَبَتْ عنه أفهامُ النَّاس، كما رأينا في الأول: استنهاض هِمَم الدَّاعين إلى الله نحو التَّوحيد وتعظيم شأنِه، لاسيما الزَّاهدين المزهِّدين تفسير آية البَاب، فهذه هي المحَجَّة البيضاء، للأمَّة فيه، والأمر يشتدُّ مع الَّذين اتَّخذوا من التَّقصير وهؤلاء هم السَّالكون جادَّتها، فَخُذُوا طريقَها، في هذا الجانب شعارًا لدعوتهم؛ زاعمين أنَّهم والْزَمُوا فريقَها، والعاقبةُ للتَّقْوَى. يتجنَّبون ما يملَّ النَّاس أو يجرح مشاعرَهم ولو كان تنبيه: كتبَ بعضٌ من لا يهتمُّ بالتوحيد ما هو حقَّ الله الخالص!! سمَّوه: «التَّوحيد أوَّلا لو كانوا يعلمون»، لكنَّ سداه فالتَّوحيد هو حقُّ الله الأعظم، ففي «الصحيحين» ولحُمتَه عندَهم الحاكميَّةُ والتَّشهيرُ بمثالب عن معاذبن جبل، قال: قال النَّبِي عَظِير: «يَا مُعَادُ أَتَدْرِي السَّلاطين، وكلَّ همِّهم في ذلك الوصول إلى تكفير الحكَّام بلا تفصيل!! وآيتهم الثَّرثرةُ بالإرجاء ورميُ مَا حَقُّ الله عَلَى العِبَادِ»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا؛ أَتَدْرِي مَا حَقَّهُمْ عَلَيْهِ؟»، كلِّ من لا يوافقهم به، فليُحذَرْ هؤلاء؛ فإنَّ الحقَّ فيما كتبوا أن يسمَّى: «التَّكفير أوَّلاً لو كانوا يعلمون!!». قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ».

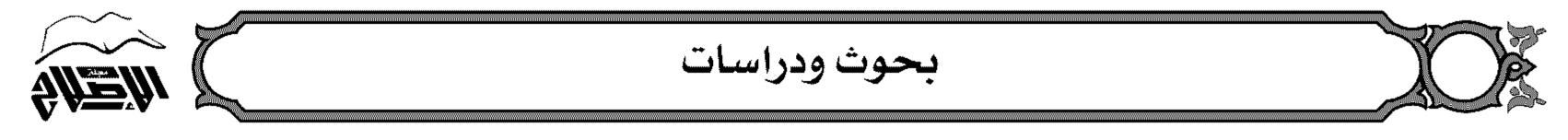




مجالات الإصلاح في الفقه الإسلامي

عبد المجيد جمعة

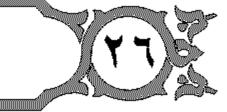
الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على وقد أمرنا تعالى بطاعته وتحكيمِه والتَّحاكم إليه أشرف المرسلين، نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. فقال: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا أمَّا بعد، فقد مرَّ الفقةُ الإسلاميُّ بمراحلَ عدَّةٍ، شَجَكَ بَيْنَهُمُ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا من أهمِّها عصرُ النَّبوَّةِ، حيث كان مصدرُ التَّشريع قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ٢٠ السَنَّة : ٦٥]، فلا شرع وقتئذٍ هو القرآنُ والسُّنَّةُ، وقد أمر تعالى المؤمنين أن إلاَّ ما شرعه اللهُ أو ما شرعه رسولُه. يردُّوا كلّ ما تنازعوا فيه من أمور الدِّين: دقَّه وجلُّه، ولمَّا كان القرآنُ والسُّنَّةُ هما المرجعُ الأساسيُّ جليِّه وخفيِّه إلى هذا المصدر فقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ مَامَنُوا للصَّحابة في جميع الأحكام والقضايا، لم يكنْ هناك أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَأُولِي ٱلْآَمَرِ مِنكُرُ فَإِن نَنَزَعْهُمْ فِي شَيْءٍ مجالٌ للاختلافِ في المسائل الفقهيَّةِ على عهد رسول فَرُدُوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنْهُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ۖ ذَالِكَ الله عَظِير، ولئن كان هناك خلافٌ بين الصَّحابة إذا خَيرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞﴾ [النَّثَانَ : ٥٩]، والرَّدُّ إلى الله وقع منهم اجتهادٌ في حَضْرَتِه أو غَيْبَتِه ـ كما هو واقع سبحانه هو الردُّ إلى كتابه، والردُّ إلى الرَّسول عَظِيرَ هو منهم في حوادثَ كثيرةٍ، ووقائعَ متعدِّدَةٍ، وهو الرَّدُّ إليه نفسِه في حياته، وإلى سُنَّتِه بعد وفاتِه. الصَّحيح من مذاهب العلماءِ \_ فإنَّهم كانوا يرجعون وكان الرَّسول ﷺ هو المبلِّغ عن الله تعالى إليه عَظِيم، فَيُقِرُّ المصيبَ منهم، ويُنْكِرُ على المخطئ، المبيِّن لشرعه، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ ٱلْكِنَبَ فسرعانَ ما يزول الخلاف، ويَثْبُتُ الصَّوابُ. بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَا أَرَنكَ ٱللَّهُ ﴾ [النَّبْال: ١٠٥]، ولم يفارق النَّبِيُّ ﷺ هذه الحياة، ويودِّعْ

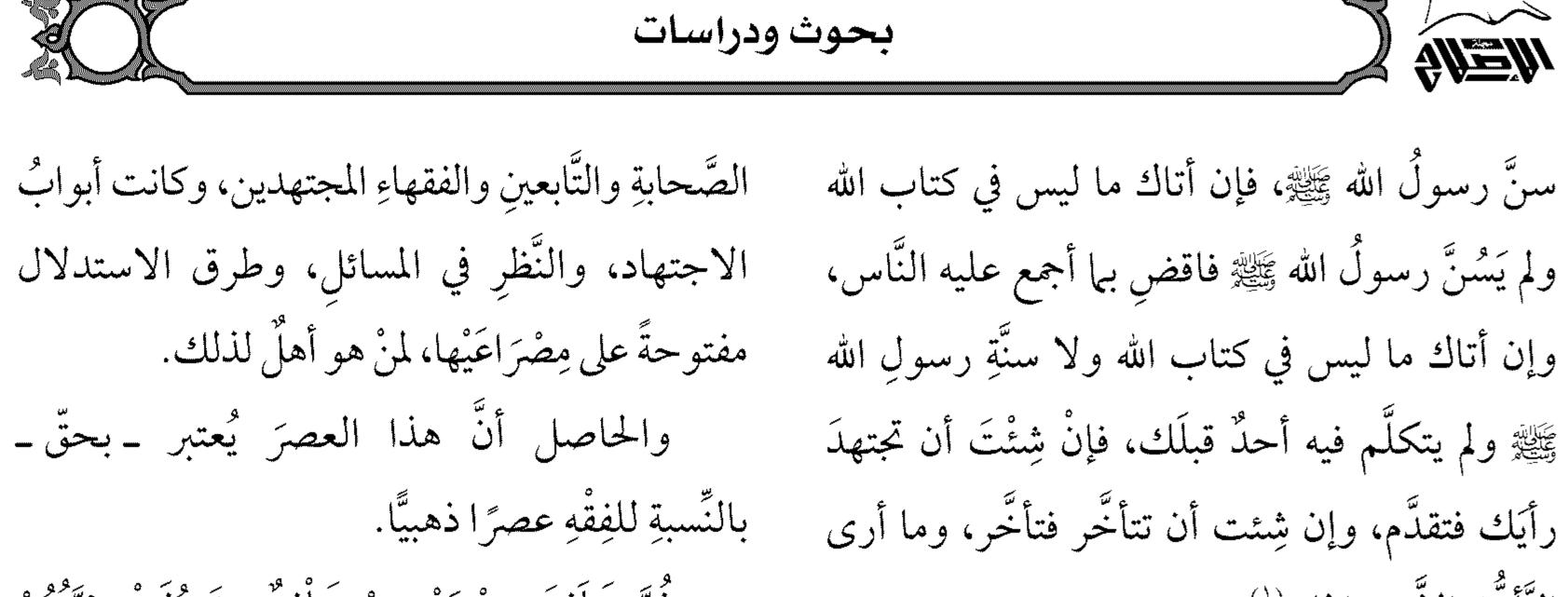


أصحابَه، وينقطع الوحيُ، حتَّى كَمُلَ الدِّينُ، وتكامل فيُخرِّجوا أحكامَ هذه الحوادثِ الجزئيَّةِ على القواعدِ بناءُ الشَّريعةِ، فقد بلَّغ الرِّسالةَ، وأدَّى الأمانةَ، ونصح الكلِّيَّةِ المقرَّرَةِ في الكتاب والسُّنَّةِ، فإنْ أعوزَهم ذلك الأمَّةَ، وتركها على المحجَّة البيضاءِ، وحثَّها على استشاروا فقهاءَ الصَّحابةِ، فإذا اتَّفق رأَيُهم على التَمسُّك بكتاب الله وسُنَّةِ رسولِه ﷺ بعده. فأخذ الصَّحابةُ هِنْ بوصيَّة النَّبِيِّ ﷺ، وما الصِّدِيقِ هِنْ في جَمْعِهِ للقرآنِ، وقتالِه مانعِي

الزَّكاةِ، وأهلِ الرِّدَّةِ وغيرِها. وقد قال ميمون بنُ مِهرانَ: «كان أبو بكرٍ الصِّدِيقُ إذا ورد عليه حُكُمٌ نَظَرَ في كتاب الله تعالى، فإنْ وجَدَ فيه ما يقضِي به قضى به، وإن لم يجدْ في كتابِ الله نَظَرَ في سُنَّةِ رسول الله عَنْ، فإن وجد فيها ما يقضي قضى به، فإن أعْيَاهُ ذلك سأل النَّاسَ: هل علِمْتُم أنَّ رسولَ الله عَنْ قضى فيه بقضاء؟ فرُبَّها قام إليه القومُ يقولون: قضى فيه بكذا وكذا، فإنْ لم يجد سُنَّةً سنَّهَا النَّبيُّ عَنْ جمعَ رؤساءَ النَّاسِ فاستشارهم، فإذا اجتمع رأيُهم على شيء قضى به، وكان عُمَرُ يفعل ذلك، فإذا أعْيَاهُ أنْ يَجِدَ ذلك في الكتابِ والسُّنَّةِ سأل: هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء؟ فإن عَهِدَهُ إليهم، وعَضُّوا على ذلك بالنَّواجِذِ والأَضْرَاسِ، فعَلِمُوا التَّنزيلَ، وفَهِمُوا مرادَ الرَّسولِ عَنْهُ، وعرفوا سُنَنَهُ، فحكَّموا النُّصوصَ وتحاكموا إليها، ووقفُوا عند حدودِها، فإذا نزلتْ بهم نَازِلَةٌ، وعرفوا حكمَها في كتاب الله أو سنَّةِ رسولِه عَنْه لم يَلْتَفِتُوا إلى غيرِهما، بل تركوا آراءَهم، ورجَعُوا عن أقوالهِم إذا رأَوُّا أَنَّهَا تخالفُ النَّصَ وبعد أنِ اتَسعتْ دائرةُ الإسلامِ عن طريق الفتوحاتِ الإسلاميَّةِ، وامتدَ نفوذُها إلى ما وراء الفتوحاتِ الإسلاميَّةِ، وامتدَ نفوذُها إلى ما وراء واختلطَ العجمُ بالعرب، واجهتْهُم وقائعُ عِدَّه ونزلت بهم نوازلُ كثيرة، لا عَهْدَ لهم بها في عصر وانزلت بهم نوازلُ كثيرة، لا عَهْدَ لهم بها في عصر النُّبَوَّةِ، فدعتِ الحاجةُ إلى معرفة أحكام تلك

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧

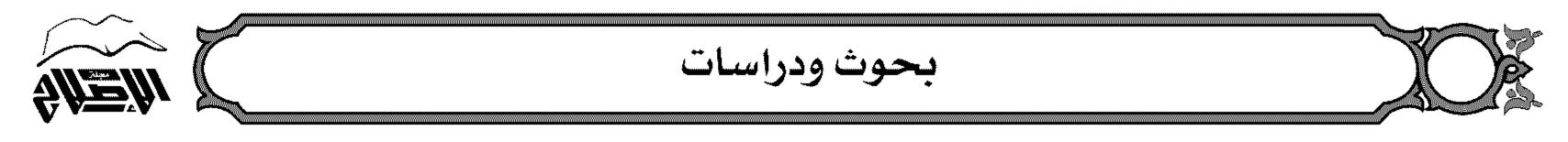




ثُمَّ خَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ، ضَعْفَتْ هِمَّتُهُمْ	
عنْ سلوكِ سبيل الأوَّلِينَ، وقَصْرَ جهدُهم عن النَّظرِ	ون
في النُّصوصِ والاستنباطِ منها، ورَضُوا لأنفسِهِمُ	
التَّقليدَ المَحْضَ، والتَّعَصُّبَ البَحْتَ، واتَّخَذَ كُلُّ	ىلى
واحدٍ منهم إمامًا يتَّبعه، ومذهبًا يلتَزِمُه، وصار	••
مبلغَ علْمِهم فَهْمُ كلامِ أَئمَّتِهم، وبيانُ أدلَّتِهم،	إنْ ''
والتَّفريعُ على قواعدهم، وبذلُ الجهد في نُصْرَةِ	۪الِ
مذهبهم، والرَّدُّ على مخالفيهم، حتى انقَسَمَت دولةُ	دلع
الإسلام إلى أربعةِ مذاهبَ، لكلِّ مذهبٍ أنصارٌ	ر م
وأشياعٌ، وأحزابٌ وأتباعٌ.	ے کام
لقد بلغ من التَّعصُّبِ الأعمى والتَّقليدِ للأئمَّةِ	م. م.
أَنْ صارت نصوصُ إمام المذهبِ كَنْصُوصِ	فيه

التَّأَخُّرَ إلاَّ خيرًا لك<sup>(١)</sup>. والمقصود أنَّ الصَّحابة هَ كَنوا لا يرجِعون إلى الرَّأي إلاَّ عند عدم وجود النَّصِّ. ثم جرى التَّابعون وتابعوهم لهم بإحسان على منهجِهم السَّليم، واقْتَفَوْا على آثارهم صراطَهم المستقيمَ، فكانوا يرجِعُون إلى الكتابِ والسُّنَّةِ، فإنْ لم يجدوا في الكتابِ والسُّنَّةِ، أخذُوا بأقوالِ الصَّحابةِ، فإن لم يجدوا فيها قَالَهُ واحدٌ منهم، الحَهدوا رأيَهم. وساروا على نهجهم، في تَعَرُّفَهِم على أحكام النَّوازلِ، وقد عَرَفَ الفقهُ في هذا العصرِ نهضةً فقهيَّةً كبيرةً، وحياةً علميَّةً واسعةَ، حيث بَرَزَ فيه

علماءُ مجتهدون، ودُوِّنَتِ العلومُ في مختلف الفُنُونِ، الشَّارِعِ، كما قال القاضي عياضٌ في «المدارك»: «إنَّ وكان للفقه الحظُّ الأَوْفَرُ في التَّدوينِ، إلى جانب لفظَ الإمام يَتَنَزَّلُ عند مقلِّده بمنزلة ألفاظ علم الحديث، بل كان تدوينُ العلوم الأخرى الشَّارِع<sup>»(٢)</sup>، واشْتُهِرَ عن الإمام الكَرْخِيِّ الذي انتهت خَادِمًا للفِقْهِ، وكانت كتبُ الفقهِ تُعنَى بالدَّليل، وفقْهِ إليه رئاسةُ الحنَفَيَّةِ بالعراقِ أنَّه قال: «كُلُ آيةٍ أو



تحصيل العلم، والوقوفِ على غاياته، كثرةُ التَّاليف، واختلافُ الاصطلاحات في التَّعليم، وتعدُّدُ طرقِها، ثمُّ مطالبةُ المتعلِّم والتِّلميذِ باستحضار ذلك، وحينئذ يُسلَّم له منصِبُ التَّحصيل، فيحتاجُ المتعلُّمُ إلى حفظها كلُّها أو أكثرِها، ومراعاةِ طرقهَا، ولا يَفِي عمرُه بها كُتب في صناعةٍ واحدةٍ إذا تَجَرَّدَ لها، فيقع القصور - ولابد - دون رتبة التَّحصيل. ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكيِّ بالكتب: «المدوَّنة» \_مثلاً \_ وما كُتِبَ عليها من الشُّر وحاتِ الفقهيَّةِ، مثل: كتاب ابن يونس واللَّخمِي، وابنِ بشير، و«التَّنبيهات»، و«المقدِّمات»، و«البيانِ والتَّحصيل على العُتْبِيَّة»، وكذلك كتاب ابن الحَاجِبِ، وما كُتِبَ عليه؛ ثُمَّ إنَّه يحتاج إلى تمييز الطّريقةِ القَيْرَوَانِيَّةِ من القُرْطُبِيَّةِ والبَغْدَادِيَّةِ والحِصْرِيَّةِ، وطرقِ المتَأَخِّرِينَ عنهم، والإحاطةِ بذلك كلُّه؛ وحينئذٍ يُسَلَّمُ له منصِبُ الفُتْيَا، وهي كلُّها متَكَرِّرَة والمعنى واحدٌ، والمتعلِّم مطالَبٌ باستحضار جميعِها، وتمييز ما بينها، والعُمْرُ ينْقَضِي في واحدٍ منها...».

حديثٍ ثُخالف ما عليه أصحابُنا فهو إمَّا مؤوَّلْ أو منْسُوخٌ»؛ وادَّعى القومُ انقطاعَ الاجتهادِ، وغلقَ أبوابه على رأس المائة الرَّابعةِ، ولم يَبْقَ \_ بالنِّسبة إليهم - مجتهدٌ مطلقٌ، بل المجتهدُ عندهم الذي يفهم نصوصَ إمامِه، ويُفَرِّعُ على أصوله، ويطْلِقُونَ عليه اسم: «مجتهد مقيّد». وقد يُلِيَ الفقةُ في عصر التَّقليدِ بالجمودِ، وأصابه رُكودٌ، ونَجمَ عن ذلك آثارٌ وخيمةٌ، وعواقبُ ذميمةٌ، من أهمِّهَا ردُّ النُّصوص الصَّحيحةِ الصَّريحةِ المخالفةِ للمذهبِ، ولو بالتَّأويل الفاسدِ، ومنها عَزْلُ النُّصوصِ عن المسائل، وخُلُوٍّ كثيرٍ من كتبِ المذاهب من الأدلَّةِ، والعنايةِ بنقل أقوالِ أَئِمَّتِهم، ومنها الاهتمامُ بالكتب المختصرةِ والمتونِ والحَوَاشِي التِي هي أَشْبَهُ بِالأَلْغَازِ، حتَّى احتيجَ إلى شَرْحِهَا، ووضع الحواشي عليها، بل يقوم بشرحِها مصنِّفُها نَفْسُه، وقد عَاقَتِ الطَّالبَ عنْ تأصيل العلم وتحصيلِه، وتكوينِ مَلَكَتِهِ الفقهيَّةِ، ومنها كثرةُ التَّآلِيفِ في الفَنِّ الواحد مِمَّا زادَ الأمرَ تعقيدًا

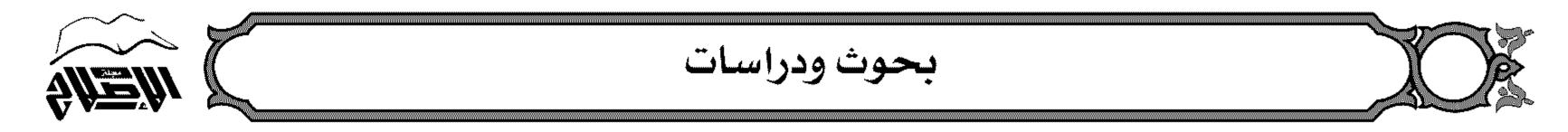
العدد الأول. محرم/صفر ١٤٢٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧



ومنها: استحلالَ المحرَّماتِ بأَدْنَى الحِيَل، وقدْ صُنِّفَتْ في ذلك مُصَنَّفَاتٌ؛ ومنها: اختيارُ الأقوال بالتَّشَهِّي والهوى، وتَتَبَّعُ الرُّخص، والقولُ بالتَّلفيق؛ ومنها: كثرةُ الجَدَلِ والمناظراتِ بين المذاهب انتصارًا للمذهب، وغير ذلك من البلايًا التي حلَّتْ بالفقه الإسلامي... ففي خِضَمٍّ هذا الجمودِ الفِكْرِيِّ والتَّقلِيدِ الأعْمى، والأوضاع المزرية التي آلَ إليه الفقهُ، كان من الضُّرُورِيِّ إعادةُ النَّظرِ فيه، والعودةُ به إلى العهد الأوَّلِ، وإبرازُه في الحُلَّةِ الزَّاهيَةِ التي كان يَتَحَلَّى بِها في العصرِ الذَّهبيِّ، وإصلاحُ ما شَانَهُ، لْيَنْهَضَ من كَبْوَتِهِ، ويَصْفُوَ مِنْ كُدْرَتِهِ، ويَسْتَعِيدَ حيَوِيَّتَه ومكانَتَه المرمُوقَةَ التي كان يَحْظَى بها.

]|

منها، وتطبيقِها على المسائلِ المُسْتَجَدَةِ، وإلحاقِ ما لا نصَّ فيه منها على ما ورد به النَّصُّ؛ لأنَّ الحوادثَ تَتَجَدَّدُ، والنُّوازِلُ تحدُثُ، وقد لا تكون معروفةً في العصورِ الماضيةِ، والنَّصوصُ الشَّرعيَّةُ لم تَنُصَّ على كلِّ حادثةٍ بعينِها، ولابدَّ من معرفةِ حكم الله فيها، ولا يتأتَّى ذلك إلاَّ عن طريق الاجتهاد، وهو أيْسَرُ ممَّا كان عليه في العصور السَّابقةِ؛ لأنَّ موادَّه متوفِّرَةٌ مجتمعةٌ في مظانِّها، فقد جمع العلماءُ آياتِ الأحكام، وأحاديثَ الأحكام، وبيَّنُوا النَّاسخَ والمنسوخَ، وضَبَطُوا مواضعَ الإجماع، ومواطنَ الخلافِ، ودوَّنُوا الفقهَ، وقعَّدوا قواعدَه وأصولَه، وتكلَّموا في اللُّغةِ وفنونِها، وكلُّ هذه العلوم التي تعتبرُ دَعَائِمَ أساسيَّةً للاجتهاد مدوَّنَةً في كتب خاصَّةٍ، سهلة



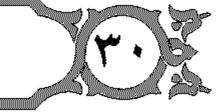
فيها الإجماعُ، وقد ثَبَتَ فيها الخلافُ. الشَّرعيَّةِ، وربطُ مسائِلِه بدلائلِها، فيُذْكَرُ مع كلِّ فالاجتهاد هو القلبُ النَّابِضُ الذي به حياةُ مسألةٍ دليلُها من القرآنِ والسنَّةِ والإجماعِ والقياسِ الفقهِ الإسلاميِّ، ودليلُ على صلاحيَّةِ الشَّريعةِ وأقوالِ الصَّحابةِ، وغيرِها من المصادر التبعيَّة؛ الإسلاميَّةِ السَّمْحَةِ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ، والوسيلةُ وبهذا تُفْهَمُ الأحكامُ، وتُعرفُ مآخذُ الأقوالِ؛ لأنَّ المُنْلَى للتعَرُّفِ على أحكام النَّوازلِ؛ والقولُ بسدِّ أخذَ الحكم بغير معرفةِ دليله هو عينُ التَقليدِ، وقد

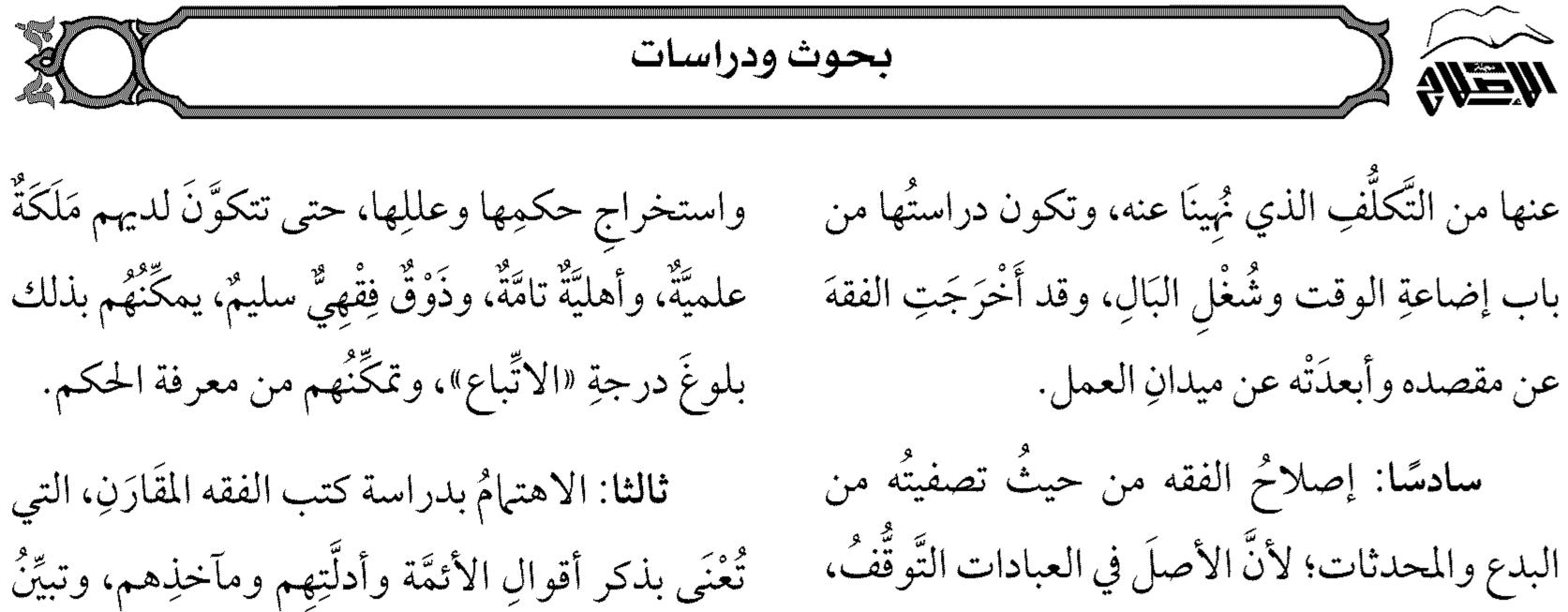
عرَّف العلماءُ التَّقليدَ أَنَّه: «قَبُولُ قولِ الغير بغير حُجَّةٍ»، واتَّفقوا على أنَّ التَّقليدَ ليس بعلمٍ. رابعًا: إصلاحُ الفقهِ من حيثُ تصفيتُه من الأقوالِ الشَّاذَّةِ، والآراءِ الباطلةِ المخالفةِ للنُّصوصِ، والاختياراتِ المرْجُوحَةِ التي ثَبَتَ ضعفُهَا، وإبرازُ أسائلِ المجمعِ عليها، والمسائلِ الرَّاجحةِ التي ثَبَتَتْ بالدَّليلِ الصَّحيحِ الصَّريحِ؛ أمَّا المسائلُ التي تكافأَتْ فيها الأدِلَّةُ، ولم يُتَبَيَّنْ فيها القولُ الرَّاجحُ فتَعُرَضُ، ويبقى الاختيارُ بحسب الرُّجوع إلى الأصل أو المرجِّحَاتِ الخارجيَّةِ، فمواردُ النزاعِ ومسالكُ الاجتهاد لا إنكارَ فيها.

بابِ الاجتهادِ هو إجهاضٌ للفقهِ الإسلاميِّ، وتضييقٌ لدَوْرِه الفَعَّالِ في مواجهة المستجدَّاتِ، ومواكبةِ التَّطَوُّرَاتِ، وإيجادِ حلولٍ للمشكلاتِ، ونُكْرَانٌ لنعمةِ الفِكْرِ والنَّظَرِ. ثانيا: إصلاحُ الفقه من حيثُ تصفيتُه من الأحاديثِ الضَّعيفةِ، والأخبارِ الوَاهيَةِ التي شانَتْ كُتُبَ الفقهِ، الضَّعيفةِ، والأخبارِ الوَاهيةِ التي شانَتْ كُتُبَ الفقهِ، وقد بَنَى كثيرٌ من الفقهاءِ عليها أحكامَهم، وخرَّجوا عليها أصولهم، إمَّا جهلاً منهم بأسانيدِها وعِلَلِها، وإمَّا تعصُّبًا ونصرةً للمذهبِ. ومعلومٌ أنَّ الأحكامَ لا تُبْنَى إلاَّ على ما صحَّ وأمَّا تعرُبُ فإذا صُفِيَتْ كتبُ الفقه من هذه الأحاديثِ، فإذا صُفِيَتْ كتبُ الفقه من هذه الأحاديثِ، فإذا صُفيَتُ

مقدم فَتْرونا يتحد معالدا لمدينيا تز

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧





فلا يُشْرَعُ منها إلاَّ ما شَرَعَه الله وما صحَّ عن رسول الله ﷺ، كالقولِ باستحباب صلاةِ الرَّغائِبِ وصلاةِ ليلةِ النِّصفِ من شعبانَ. ولتحقيق هذه الإصلاحات، وتجسيدها على

أرض الواقع فإنَّني أقدِّم هذه الاقتراحات التَّالية: أوَّلاً: العملُ على إخراج فقهاء مجتهدين، وتأهيلِهم لحمل الرَّايةِ، يتَّصِفُونَ بحُسْنِ الفهم، وسلامةِ الفكرِ، وقوَّةِ النَّظَرِ، ويملِكُونَ الملكةَ العلميَّة، تمكِّنُهم من استنباط الأحكام من أدلَّتِها، وإلحاقِ ما لا نصَّ فيه بالمنْصُوصِ عليه، وذلك بتحصيل علوم الاجتهاد، كالقرآن وعلومه، والحديثِ وعلومه، وأصول الفقه

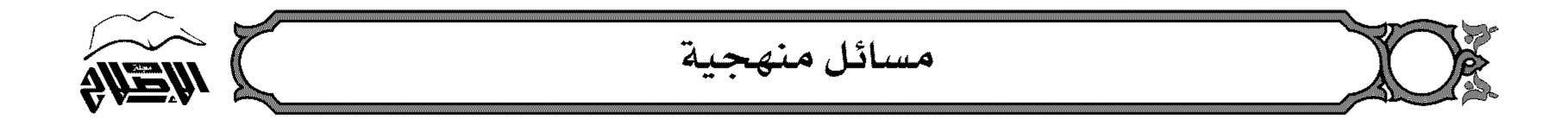
وقواعدِه، والعربيَّةِ وعلومِها، ولا شكَّ أنَّ للجامعات

لقولَ الرَّاجحَ من أقوالهم، كـ«المحلَّى» لابن حزم، و«الاستذكار» لابن عبد البَرِّ، و«المغني» لابن قدامة، و«المجموع» للنووي...

رابعًا: عقدُ دوراتٍ علميَّة، ومَجَامِعَ فقهيَّة، تكون دوريَّةً - على غِرَارِ ما هو موجود في بعض البلاد الإسلاميَّة، يلتقِي فيها العلماءُ والفقهاءُ من كلِّ أنحاء العالم، يبحثون أهمَّ القضايا المستجدَّةِ في العالم الإسلاميِّ، بغيةَ النَّظرِ فيها، ومعرفةِ حُكْمِ الشَّريعة فيها.

خامسًا: تشجيعُ البُحُوثِ العلميَّة التي تتناول مسائلَ فقهيَّةً معيَّنَةً، على نحو المجلاَّتِ المحكَّمة والأطروحات الجامعيَّة.

هذا، واللهُ وليُّ التَّوفيق، وآخر دعوانا أنِ الحمد



كلمة فى منهج الدعوة إلى الله

## عبد الغني عوسات

وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ الله، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاً، لا يَنْزِعُهُ عَنْكُمْ حَتَّى تَرْجِعُوا إَلَى دِينِكُمْ»<sup>(1)</sup>. وقال أيضًا ﷺ: «وَضُرِبَ<sup>(1)</sup> الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِيَ»، فَبَلَغَ بذلك الذُّلُّ والهوانُ استغلالَ أهل الشِّرك والكفر لخيراتِ المسلمين وسفْكَ دمائهم، وتدنيسَ أعراضهم، وانتهاكَ مقدَّساتِهم، حين تَنَادَوْا عليهم مُؤْتَرِينَ وتداعوْا عليهم مُتَحَالِفِينَ، فلم تُغْنِ عنهم كَثْرَتُهم شيئًا وذاقوا وبالَ أمرِهم وانقلبوا خاسِرينَ، وهو ما أخبر عنه الصَّادق المحدوق ﷺ في قوله: «يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ كَمَا تَدَاعَى

إِنَّه لا يخفى على أحدٍ واقعُ المسلمين، وما وَصَلُوا إليه من الذُّلِّ والصَّغَارِ، وفسادِ الأحوال المؤذِنِ بالخرابِ والدَّمارِ، ممَّا لا يجدي عدّ صور هذا الواقع دون معالجة جادَّة لهذا الوضع المريرِ. وَلَعَلَّ المرْءَ عندما يَنْظُرُ إلى النَّتِيجَةِ يقوده نظرُه إلى المقدِّمة التي هي مخاضُها ومناطُها ـ فالحكم على الشَّيْءِ فَرْعٌ عن تصوُّرِه ـ فيجد السَّبب الرَّئيس الذي آل بالمسلمين إلى هذه الحالة المزْرِيَةِ، هو ابتعادُهم عن كتاب الله تعالى، وعدمُ تمسُّكِهم بسنَّةِ المصطفى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ وزهدُهم في

اتِّباع منهج سَلفهم الصَّالح، وهو ما أشار إليه نبيُّ الأَكلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فقال قائل: «أوَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ هذه الأمّة - عليه الصَّلاة والسَّلام - في هذا البيان يَوْمَئِذ؟» قال: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءُ المعبَّر عنه بأصدق لسانٍ، حين قال: «إذَا تَبَايَعْتُمْ كَعُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهابَةَ بِالعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْع، مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهن»، قالوا: يا رسول

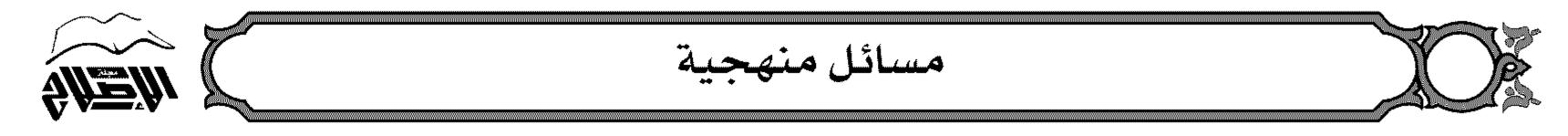




الله! وما الوهنُ؟ قال: «حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ» ("). لا مَنَاصَ مِنَ الواقع المزْرِي ولا خلاص مِنَ الوضع المتَرَدِّي إلاَّ بإصلاح ما أُفسِد، وجَبْرِ ما انْكَسَر، وبهذا يُدركُ العاقلُ الأَرِيبُ أَنَّ ذلك راجع إلى وتَقويةِ ما ضَعُف، وحُسنِ الرُّجوع إلى الحقِّ المبين، المسلمين أنفسِهم، وأنَّ كلَّ ما أصابَ النَّاسَ من وصدقِ العودة إلى المنبَع المَعين، وذلك هو سبيل مصيبة فبما كسبت أيديهم، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا القوَّة والتَّمكين، والخروج من هذا الوضع المهين، ذَكْتِحُوْا بِعِ<sup>ت</sup>َ أَنْجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهُوْنَ عَنِ ٱلسَّوَءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ

وذلك لا يتعلَّق ولا يتحقَّقُ إلاَّ بالإصلاح الصَّحيح القائم على أُسُسِهِ المتِينَةِ والمُنبَثق من مظانِّه المُبِينة. قال العلاَّمةُ عبدُ الرَّحمنِ بنُ يَخْيَى المُعَلَّمِي اليَمَانِي: «قد أَكْثَرَ العارفُون بالإسلام \_ المخلصون له وقال \_ عليه الصَّلاة والسَّلام \_: «مَا اخْتلج \_ من تَقْرِير أنَّ كلَّ ما وقع فيه المسلمون من الضَّعف والخَوَر والتَّخاذل \_ وغيرِ ذلك من وجوه وإنَّ ذوي النُّفوس الأبِيَّة مهما حلَّت بهم رَزِيَّةٌ أو الأنْحِطَاطِ \_ إنَّما كان لبُعدهم عن حقيقة الإسلام. أَلَّتْ بهم رَدِيَّةٌ فإنَّهم يَسْعَوْنَ إلى إزالتِها بإرادةٍ قويَّةٍ وأرى أنَّ ذلك يرجعُ إلى أمُور: الأول: الْتِبَاسُ ما ليس من الدِّين بما هو منه. ويُنْعِمُونَ الفِكْرَ ويُحكِمُون السَّبْرَ لواقعهم، فيحاسبون الثاني: ضَعْفُ اليَقِينِ بِما هو من الدِّين. الثالث: عدمُ العمل بأحكام الدِّين. وأرى أنَّ معرفةَ الآدابِ النَّبويَّة الصَّحيحةِ، في فَلَا مَرَدٌ لَهُ وَمَا لَهُ وِمِن دُونِهِ مِن وَالٍ ١٠ ؟ [العَن ١١]. العبادات والمعاملات، والإقامةِ والسَّفر، والمُعَاشَرَةِ والوَحْدَةِ، والحركةِ والسُّكونِ، واليقظةِ والنَّوم، وعن الرَّسول عَظِيمُ أَنَّه قال: «إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنَةُ»، والأكل والشُّرْبِ، والكلام والصَّمْتِ، وغيرِ ذلك قالوا: فكيفَ لنا يا رسُولَ الله؟ وكيفَ نصنعُ؟ قال: «تَرْجِعُونَ إِلَى أَمْرِكُمُ الأَوَّل» (°)، وبذلك يعلمون أَنْ ممَّا يَعْرِضُ للإنسان في حياته، مع تَحَرِّي العمل بها

ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَيْعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَغْسُقُونَ ٢ ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآأَصَبَكُم مِّن مُّصِيبَ وَفَبِما كَسَبَتَ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرِ (٢٠) (المَنْحَكَ : ٣٠]. عِرْقٌ وَلاَ عَيْنٌ إِلاَّ بِذَنْبٍ، وَمَا يَدْفَعُ اللهُ عَنْهُ أَكْثَرُ» (٤). وآمالٍ سَنِيَّة وأعمال شُنَّيَّةٍ، وشرعان ما يُمْعِنُونَ النَّظرَ أنفسَهم فَيُدْرِكُونَ مواقع العِلَلِ ويهتدون إلى مواطنِ الزَّلَل، ويتنبهون إلى سبب الخَلل، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقُومٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِمٌ وَإِذَا أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَومٍ سُوَءًا



يَتَيَسَّرُ، هو الدَّوَاءُ الوحيدُ لِتِلْكَ الأمراض، فإنَّ لعباده \_ بما أنزلَ في كتابه، وما كان من بَيان رسولِه \_ ما فيه استنارةُ عقُولهم، وزكاءُ نفوسِهم واستقامةُ أعمالهم، كثيرًا من تلك الآداب سَهل على النَّفس، فإذا عمل الإنسانُ بما يسهُّل عليه منها تاركًا لما يخالفُها لم يَلْبَثْ وسمَّاه سبيلا؛ ليلتزمُوه في جميع مراحل سيرِهم في هذه الحيَاة؛ ليُفضِيَ بهم إلى الغايةِ المقصودةِ، وهيَ السَّعادة \_ إِنْ شاء الله تعالى \_ أَن يَرْغَبَ في الأَزْدِيادِ، فعسى الأبديَّةُ في الحياةِ الأخرى؛ وأضافَه إلى نفسِه ليَعلَمُوا أنَّه أن لا تمضيَ عليه مدَّةٌ إلاَّ وقد أصبح قدوَةً لغيره في

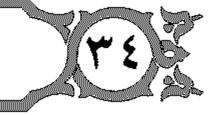
هو وَضعَهُ وأنَّه لا شيءَ يُوصِلُ إلى رضُوانِه سِوَاه» (٧). وإنَّ على الدَّاعيةِ إلى الإصلاح على عِلم وبَصيرةٍ أن يجعلَ نصبَ عَيْنَيْهِ جهودَ الأوَّلين فإنَّها كانت غيرَ قَصِيرَةٍ، وكانت آثَارُها غَزِيرَةً، وعلى رأسِهم الأنبياءُ الَّذين في نهجِهم الحكمةُ والعقلُ، والعصمةُ من الزَّلَ، وكان شعارُهم في ذلك ﴿ إِن أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا نَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ الله الله [المحمد: ٨٨]، وتبَعًا لهم الصَّحابةُ \_ رضوان الله عليهم أجمعين \_ فقد كانوا على الإصلاح حَرِيصِينَ وعلى الصَّلاح ثَابِتِينَ، ويليهم من اتَّبَعَهُمْ فيه بإحسان إلى يوم الدِّين من الَّذين يَصْلُحُون إذا فَسَد النَّاسُ، والذين يُصْلِحُون ما أفسَدَ النَّاسُ.

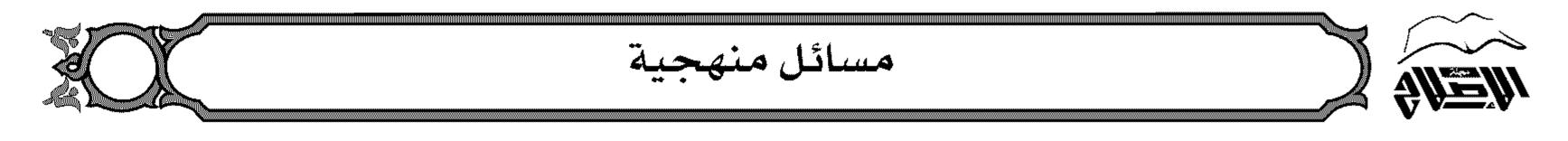
فلابداً إذًا من منهج سديدٍ وطريق رشيدٍ يَتَّبِعُهُ كُلُّ حيث قال تعالى: ﴿ أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمُوْعِظَةِ ٱلْجُسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن مَنْ يريدُ الإصلاحَ لا يَزِيغُ عنه ولا يَجِيدُ، وهو ما كان ضَلَّعَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ (") [الخلا: ١٢٥]. مُنْضَبِطًا في ذاته وضَابِطًا لغيره، ولقد قال الإمام مالك ابنُ أنسٍ \_ إمامُ دارِ الهجرة وإمامُ عِلْم وهُدَى \_ كلمةً قال العلاَّمةُ ابن باديس \_ رحمه الله \_: «شرع اللهُ

ذلك؛ وبالاهتداء بذلك الهَدْي القَويم، والتَّخَلِّقِ بذلك الخُلُقِ العظيم \_ ولو إلى حدٍّ مَا \_ يَسْتَنِيرُ القلب، ويَنْشَرِحُ الصَّدْرُ، وتطمئِنُّ النَّفْسُ، فيَرْسَخُ اليقينُ ويَصْلُحُ العملُ. وإذا كَثُرَ السَّالِكُونَ في هذا السَّبيل لم تَلْبَثْ تلك الأمراض أنْ تزولَ إن شاء الله»<sup>(٢)</sup>. ولمَّا كان الإصلاحُ بهذه المنزلة الرَّفيعة والمَهمَّة

العظيمةِ، كان لِزَامًا على من يُريد الإصلاح أن يكون على بصيرة من أمرهِ ومُتَحَلِّيًا في ذلك بصفاته الجديرةِ، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِ مَسْبِيلِيّ أَدْعُوا إِلَى ٱللَّهِ عَلَى

بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ الما ﴾ [يُنْهَنُّ : ١٠٨]، ومُتَّسما في دعوتِه بما أمره به ربُّه



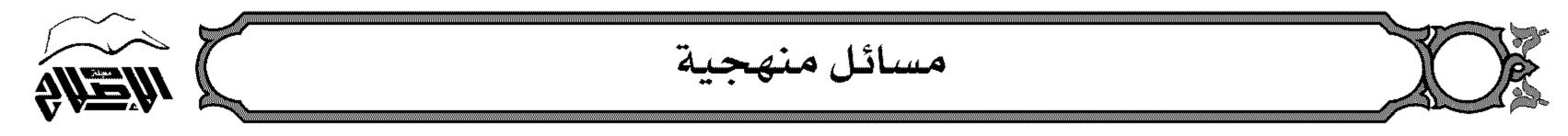


ذهبيَّةً مُذَكِّرًا المُصلِحين بأنْ لا سبيل للصَّلاح الكاملةِ حتَّى شهدته في أوَّلِ هذه الأمَّة، ولم تشهد والإصلاح إلاَّ إذا كان على سبيل الصُّلاَح، فقال ـ رحمه أمَّةُ وحَدَتِ الله فاتَحدَت قُوَاها على الخير قبل هذه الله ـ: «وَمَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا لاَ يَكُونُ اليَوْم دِينًا، وَلَنْ الطَّبقة الأولى من هذه الأمَّة». والإصلاح الله ـ: ومَا لَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا لاَ يَكُونُ اليَوْم دِينًا، وَلَنْ الطَّبقة الأولى من هذه الأمَّة». والم تشهد الله ـ: ومَا لمُ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ دِينًا لاَ يَكُونُ اليَوْم دِينًا، وَلَنْ الطَّبقة الأولى من هذه الأمَّة». (<sup>6)</sup> . يصلح آخر هذه الأمَّة إلاً بما صلح به أوَّلها». (<sup>6)</sup> . فهو منهجٌ إذًا تمَتدُّ أُصُولُه إلى الصَّدر الأوَّل وتَنْبعُ وعلى من هذه الرَّبَانِيُّونَ على مدار القُرُونِ، لا وعَقيبَ هذه الكلمةِ الكلمةِ العلماء الرَّبَانِيُّونَ على مدار القُرُونِ، لا

يَتَغَيَّرُ بتغيُّر الزَّمان والمكان، مهما تباعدتِ الأمْصَارُ وتقادمتِ الأعصارُ، فكانت قاعدةً جامعةً ومقالةً نافعةً: «نقتَدِي ولا نبتَدِي، نَتَّبعُ ولا نَبْتَدِعُ»، فإنَّ منهج السَّلف حجَّةٌ على الخلَفِ، قال عبد الله بن مسعود حِيْنُهُ: «من كان مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بأصحاب رسول الله عَلَيْ فَإِنَّهُم كَانُوا أَبَرَّ هَذَه الأُمَّة قُلُوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلُّها تكلُّفًا، وأقومَها هَدْيًا، وأحسنَها حالاً؛ قومٌ اختارَهُم الله لصُحبَةِ نَبِيِّهِ، وإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلهم، واتَّبعوهم في آثارهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم» (```، ولتأكيد ذلك في أذهان النَّاس وتقريره، قال الإمام الأوزاعي \_ رحمه الله \_ مقولةً مشهورةً في تعبيره: «اصبرْ نَفْسَك على الشُّنَّةِ، وَقِفْ حيث وَقَفَ القومُ، وقُلْ بما قالوا، وكفَّ عما كفُّوا، واسلكْ سبيلَ سلفِك الصَّالح، فإنَّه يَسَعُك ما وَسِعَهم» (١١). ولعل القارئ إذا أنعم النَّظرَ في دعوة الرُّسُل عليهم صلوات الله أجمعين، يجدُها ثابتةً غير متغيِّرة على اختلاف الزَّمان والمكان وحالِ الأقوام الذين

البشير الإبراهيمي متعلِّقا بمَبناها ومُعلِّقا على معناها: «جملةٌ إن لم تكن من كلام النُّبوَّة فإنَّ عليها مَسحةً من النُّبوَّة، ولمحةً من روحها، ووَمضَةً من إشراقها؛ والأمَّةُ المشارُ إليها في هذه الجملة أمة محمَّد عليه، وصلاح هذه الأمة شيءٌ ضُربت به الأمثال، وقُدِّمت عليه البراهين، وقام غائبُه مقام العَيان، وخَلَدته بطونُ التَّواريخ، واعترف به الوافقُ والمخالف، ولهج به الرَّاضي والسَّاخط، وسجَّلته الأرض والسَّاء، فلو نطقت الأرض لأخبَرت أنَها لم تَشهد منذ دَحْدَحها الله لله أقوم على الحقِّ وأهدى به من أوَّلِ هذه الأمَّة، ولم تشهد منذ دَحدحها الله مجموعةً من بني آدم اتَحدت سَرائرُها وظواهرُها على الخير مثلَ أوَّل هذه الأمَّة،

ولم تشهد منذُ دَحدحها الله قومًا بدأوا في إقامة قانُون العدلِ بأنفسهم، وفي إقامة شِرْعَة الإحسان بغيرِهم مثلَ أوَّل هذه الأمَّة، ولم تشهد منذُ أنزل الله إليها آدمَ وعَمَرَها بذريَّتِه مثالا صحيحًا للإنسانيَّة



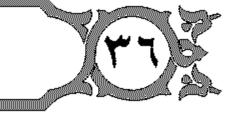
أُرْسِلُوا إليهم وطولِ الفترة بين الرُّسل، فلم يتغيَّر أمَّا مجالات الإصلاح التي ينبغي للمصلح أن يعتني أساسُ الرِّسالةِ ونقطةُ البدايةِ في الدّعوة والإصلاح مبا في دعوته ورسالته فإنَّها كثيرةٌ متعدَّدَةٌ تَعَدُّدَ ما دَخَلَ ولو مرَّةَ واحدة، وإنَّها قامت جميع الرِّسالات على أصولِ الدِّين وفروعِه من محدثات وتحريفات في بالدَّعوة إلى إفراده سبحانه بالعبادة، قال تعالى: مختلف المجالات بدءًا بالعقيدة والسُّنَّة والفقه والدَّعوة والسُّلوَ وغيرها، واللهُ الحَين وفروعِه من محدثات وتحريفات في بالدَّعوة إلى إفراده سبحانه بالعبادة، قال تعالى: مختلف المجالات بدءًا بالعقيدة والسُّنَّة والفقه والدَّعوة والسُّلوَ وغيرها، واللهُ المتعان وعليه التكرين.

**وَاجْتَـنِبُوا الطَّلْغُوتَ** ﴾ [الخَلَكَ : ٣٦]، وقال لنبيِّه ﷺ مخبرًا إيَّاه بما أُرسِل من سبقه في الميدان والبَيَان: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا أَنَّا فَأَعْبُدُونِ أَنْ إِلَى اللَّهِ عَالَى العليم [الأَبْنَيْنَاءَ : ٢٥]، فإنَّ الله تعالى العليم الحكيم اللّطيف الخبير، العليم بأحوال عباده والخبير بما يليق ويصلح لهم في كلِّ حال قد اختار هذا لجميع الأوَّلين بدايةً بالمرسلين وكذلك المُرْسَلِ إليهم، فأُمَرَهُم أن يكونوا لهم من المتَّبِعين. فليس لأحدٍ من البَشَرِ أن يغيِّرَه باختياره لنفسِه أو لغيرِه طريقًا وصراطًا ومنهجًا للإصلاح غير هذا الطَّريق بدَعْوى «تغيِّر الظَّروف» أو «اختِلافِ المطالب» وغير ذلك من المسوِّغات الوَهْمِيَّة والمبرِّرَات غيرِ الشَّرْعِيَّة، قال تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنْ** بَعْدِ مَا نَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ، مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّكُمْ وَسَاءَتَ مَصِيرًا (٢٠٠) [النبا: ١١٥]. ويا دُعاة الإصلاح! اتَّبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفِيتُمْ.

(١) رواه أبو داود والبيهقي وأحمد وغيرهم من رواية ابن عمر عضم، راجع: «السلسلة الصحيحة» (١١).
(٢) وفي رواية: «وجعل الذل...»، رواه أحمد (٢/ ٥٠، ٩٢).
(٢) رواه أبو داود وأحمد وغيرهما عن ثوبان عشيم.
(٣) رواه أبو داود وأحمد وغيرهما عن ثوبان عشيم.
(٣) رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، عن أبي واقد (٥) رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط»، عن أبي واقد (٦) (٦).
(٦) رواه الطبراني في «الكبير» ووالأوسط»، عن أبي واقد (٦) (٥) رواه الطبراني في «الكبير» والأوسط»، عن أبي واقد (٦) (٦) معدمته على «فضل الله الصمد» (١/ ١٧).
(٦) «الدُّررُ الغاليةُ في آداب الدَّعوة والدَّاعية» (٢٠٦).
(٢) «الدُررُ الغالية في آداب الدَّعوة والدَّاعية» (٢٠٦).
(٢) معدمته على «فضل الله الصمد» (١/ ١٧).
(٢) «الدُررُ الغالية في آداب الدَعوة والدَّاعية» (٢٠٥).

(العدد ١/ ٢٢ نوفمبر ١٩٥٢)، ثم نقلته «البصائر»، (العدد ٥/ ٢٠ فيفري ١٩٥٣) ويمكننا قراءة الحديث كاملا في «آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي» (٤/ ٩٣ ـ ٩٥). (١٠) رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله»: (١٨١٠) (١١) الآجري في «الشريعة»: (١/ ٥٨).





## أزهرسنيقرة

الإسلام البارزة، بل هي دعوتُه. والصُّلح هنا المقصودُ به الاتّفاق على السِّلْمِ بين الطَّائفتين المُتحاربتين، وهذا سِلْمُ خاصٌ؛ لأنَّه بَيْنَ النَّبِيِّ عَنْهِ وقومِه الَّذين أخرجوه من أحَبِّ البلاد إليه ودارت بينه وبينهم حروبٌ، ورغم شِدَّة حبِّ الصحابة هُ لَهُجَرهم مع رسول الله عَنْه فإنَّ مشاعرَ الشَّوْقِ إلى مكَّةَ لم تَخْمُدْ في قلوبهم، وما بَرحُوا ينتظرون اليوم الَّذي تُتاح هم فيه فرصةُ العودة إليها والطَّوافِ بِبَيْتِهَا العتيقِ، إلى أن جاء ذلك اليوم الَّذي بَرَزَ فيه النَّبيُّ عَنْمَ إلى أصحابه

إِنَّ حاجةَ المسلمينِ إلى أخذِ العبرِ والدُّروسِ من سيرة نبيِّهم ﷺ تُعتبر من أُولَى الأَوَّلِيَّاتِ، خاصَّة في مثل هذا الزَّمان، الَّذي عَزَّتْ فيه القدوةُ الحسنةُ، وتَتَابَعَتْ على المسلمين فِتَنُ كَقِطَعِ اللَّيل المظلم، كان من أشدِّها تَكَالُبُ الأعداء عليهم على اختلاف مناهجهم وأديانهم، استوجبتْ عليهم أن يُراجِعوا ميرةَ نبيِّهم ﷺ ويستحضرُوا مآثرَه تحقيقًا لقول الله جلَّ وعلا حيث قال: ﴿ **لَقَدَكَانَ لَكُمْ فِ رَسُولِ اللَّوَ أَسَرَهُ** ح**سَنةُ لِمَن كَانَ بَرَجُوااللَّهُ وَالَيْوَمُ الْاَحْد**ِي

السَّنَة السَّادسة للهجرة خرج الرَّسول ﷺ، يريد اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ، فَقَالَ العمرة ومعه ألفٌ وأربعمائةٍ من الصَّحابة، وليس المُسْلِمُونَ: وَالله لَا نَكْتُبُهَا إِلَّا بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ معهم إلاَّ سلاحَ السَّفر، فأَحْرَمُوا بالعُمْرَة من ذي الرَّحِيمِ، فَقَالَ النَّبِيُّﷺ: «اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ»، ثُمَّا الحُلَيْفَة، فلمَّا اقتربوا من مكَّةَ بلَغَهم أنَّ قريشًا جمعتِ قَالَ: «هَذَا مَا قَاضَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله»، فَقَالَ الجموعَ لمقاتلتهم وصدِّهم عن البيت. شَهَيْلُ: وَالله لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ رَسُولُ الله مَا

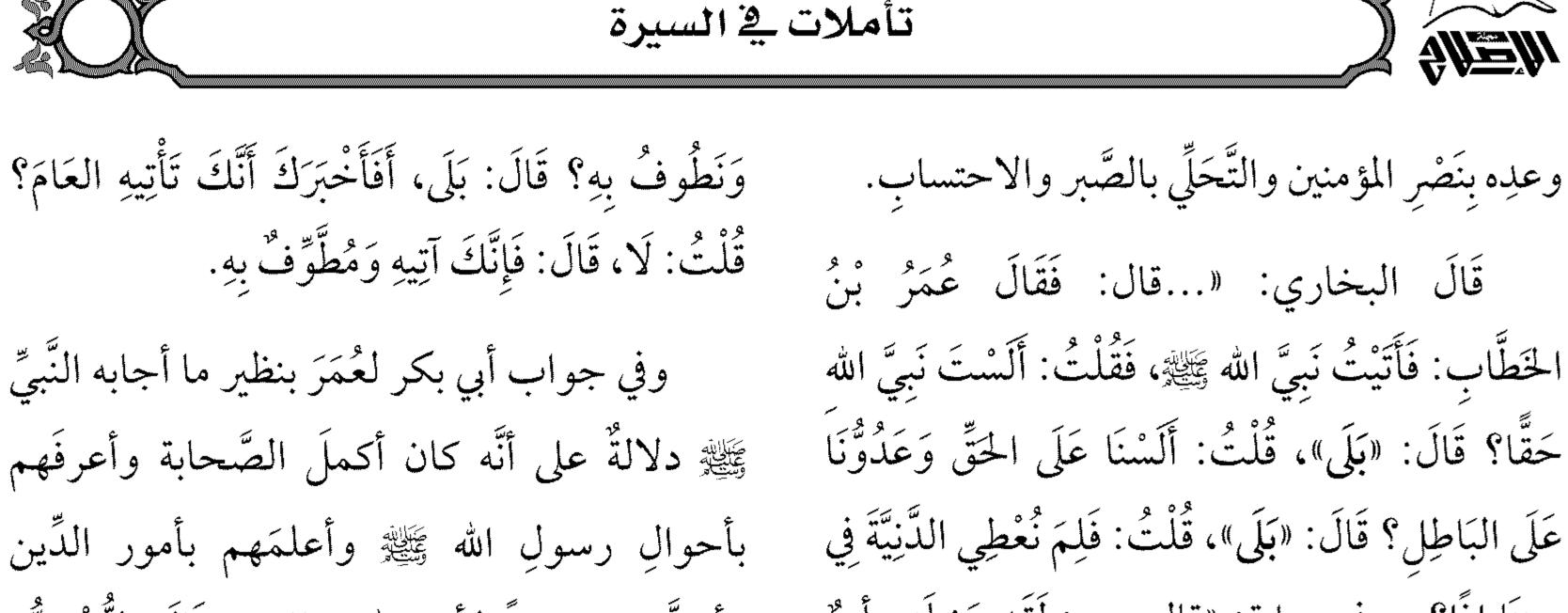
صَدَدْنَاكَ عَنْ البَيْتِ وَلَا قَاتَلْنَاكَ وَلَكِنْ اكْتُبْ: مُحَمَّدُ ابْنُ عَبْدِ الله، فَقَالَ النَّبِيُ ﷺ: «وَالله إِنِّي لَرَسُولُ الله وَإِنْ كَذَبْتُمُونِ، اكْتُبْ مُحَمَّد بْن عَبْدِ الله»؛ قَالَ الزُّهْرِيُّ: وَذَلِكَ لِقَوْلِهِ: «لا يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُ فَي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَي فَعَالَ النَّبِي فَي فَعَالَ النَّبِي فَي فَعَالَ لَهُ الله فِي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَيهَا حُرُمَاتِ الله إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، فَقَالَ لَهُ النَّبِي فَي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَي فَعَالَ لَهُ النَّبِي فَي فَعَالَ لَهُ النَبِي فَي فَعَالَ لَهُ النَبِي فَي فَعَالَ لَهُ النَبِي فَي فَعَالَ الله فَي فَعَالَ اللهُ فَي فَعَالَ اللهُ فَعَالَ مَدْ بَعَامَ اللهُ فَيْنَ الْمَعْتَ فَعَالَ الْكَرِبُ أَنْ أُخَذْنَا فَعَالَ سُهَيْلُ: وَالله لَا تَتَحَدَّتُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا فَعَالَ سُهَيْلُ: وَالله لَا تَتَحَدَّتُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا فَي فَعَالَ سُهَيْلُ: وَالله لَا تَتَحَدَّتُ العَرَبُ أَنَّا أُخِذْنَا فَي فَعَالَ سُهَيْلُ: وَعَالَ سُهَيْلُ: وَعَالَ اللهُ لِكَا يَأْتَلُهُ لَا يَأْتِيكَ مِنَا أَخَذْنَا وَجُونَ فَي فَعَالَ سُهَيْلُ، وَعَالَ سُهَيْلُ، وَعَالَ سُهَيْلُ، وَعَالَ سُهُ فَي وَعَالَ اللهُ لَا يَأْتِي فَعَالَ اللهُ فَي فَعَالَ مُعْتَ اللهُ وَعَالَ مُعْذَا واللهُ إِنَا أَنْ فَا أَنْ اللهُ عَالَ اللهُ وَعَالَ اللهُ فَي وَا أَنْ أَنْ أَنْ أُحْذَى فَي فَي فَي فَقَالَ اللهُ إِنْ أَعْوَا لَهُ إِنَا اللهُ إِنْ فَا فَا اللهُ فَي وَا أَنْ أَنْ أَنْ وَاللَهُ مَا أَنْ أَنْ أَنْ أَعْذَا أُنْ فَي فَي فَا أَنْ أَنْ أُوا اللهُ إِنْ أَعْذَا الْمُ أَعْذَا إِنْ فَي فَا أَنْ أَنْ أَنْ أَعْذَا أَنْ أَعْتَا أَعْهَ إِنْ أَنْ أَعْذَا أَعْذَا أَعْنَ مُ فَعَالَ مَا أُنْ أَعْذَا أَعْذَا أَعْذَا أَنْ أَنْ أَعْذَا أَنْ أَعْذَا أَعْ أَنْ الْنُعْرَا اللهَ أَعْنَا أَعْذَا أَعْ أَنْ أَعْذَا

هذا الخروجُ المبَارَكُ وما تخلَّلَه من أحداث، قد أخرجه البخاريُّ في «صحيحه» في كتاب الشُّروط من حديث طويل برقم: (٢٧٠٠، ٢٧٠١، ٢٥٢٤)، نَجْتَزِيُّ منه ما له صِلةٌ بالعِبَر والفوائد المذكورة لاحقًا، ولعلَّ أبرزَ فصولِ صُلْحِ الحُدَيْبِيَةِ ما تَضَمَّنَهُ الكتابُ الَّذي كان بين النَّبِيِّ في ومُفَوَّضِ قريش شهَيْل بنِ عَمْرو، بحضور ذلك الجَمع الحاشِدِ من الشُّروط التي لم يكن من السَّهل هَضْمُها ولا قَبُولا. الشُّروط التي لم يكن من السَّهل هَضْمُها ولا قَبُوطا. قال البخاري: «قَالَ مَعْمَرٌ: فَأَخْبَرَنِي أَيُّوبُ عَنْ

الزُّهْرِيُّ فِي حَدِيثِهِ: فَجَاءَ سُهَيْل بْنُ عَمْرِو فَقَالَ: عمرُ عِيْنُهُ وهو يُكَلِّم النَّبِيَّ عَظَّةٍ في مضمون تلك هَاتِ اكْتُبْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابًا، فَدَعَا النَّبِيُّ عَلَيْ الشُّروط، وما كان من إجاباتِ الرَّسولِ ﷺ له الكَاتِبَ، فَقَالَ النَّبِيُّ عَظَيَد: «بِسُم الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيم»، وللمسلمين المتَّسِمَةِ بالحكمة وبُعْدِ النَّظر وتركِ قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَالله مَا أَدْرِي مَا هُوَ! وَلَكِنْ الاستعجالِ، والدَّاعيةِ إلى وجوب الثَّقة بالله، وفي

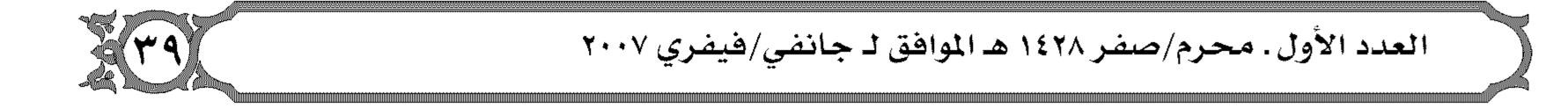
العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧





ب وَ وَ أَشدَّهم موافقةً لأمر الله تعالى ـ؛ قَالَ الزُّهْرِيُّ: وأشدَّهم موافقةً لأمر الله تعالى ـ؛ قَالَ الزُّهْرِيُّ: «قَالَ عُمَرُ: فَعَمِلْتُ لِذَلِكَ أَعْمَالًا» ـ في رواية: «فقال عمر: اتَّهموا الرَّأيَ على الدِّين، فلقد رَأَيْتُنِي أردُّ أمرَ رسولِ الله ﷺ برأيي، وما ألومُ عن الحقّ»، وفي رواية: «وكان عمر يقول: ما زِلْتُ أتصدَق وأصوم وأصلي وأَعْتِقُ من الَّذي صَنَعْتُ يومئذٍ، مخافة كلامي الَّذي تكلَّمتُ به» أهمُّ وأبرز وقائع حادثة الحديبية كما رواها

الهم وابرر وفاقع محادثة المحديبية في رواها بعضُ من حضرها من الصَّحابة عَضَم، والَّتي وإن كانت في ظاهرها استكانةً وإهانةً للمؤمنين؛ إلاَّ أنَّها في حقيقتها فتحٌ مبينٌ بَشَرَ اللهُ به نبيَّه عَنِيَّ. عِبَرُهَا وعِظَاتُهَا كثيرةٌ أَبْرَزُها: أن يَسْتَيْقِنَ دِينِنَا إِذَا؟ ـ وفي رواية: «قال عمر: لَقَد دَخلَني أَمَرُ عَظيم، وراجَعتُ النَّبَيَ ﷺ مراجعةً ما راجعتُهُ مَثْلَها قَط»، وفي رواية: «كان الصَّحابة لا يَشُكُون في الفتح لرُؤيا رآها رسُولُ الله ﷺ، فلمَّا رَأَوْا الصُّلحَ دخلَهم من ذلك أمرٌ عظيمٌ حتَّى كادوا يَهلكُون» ـ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ الله وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي»، قُلْتُ: أَوَلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي البَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى؛ فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا سَنَأْتِي وَعَلَوُنَ» ـ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «بَلَى؛ فَأَخْبَرْتُكَ أَنَّا سَنَأْتِي وَعَدُونَا عَلَى اللهُ حَقًا؟ قَالَ: يَلَ، قُلْتُ: يَا أَبَا بَكُر أَلَيْسَ هَذَا البَيْتَ الله حَقًا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: يَا أَبَا بَكُر أَلَيْسَ هَذَا التَنِيَّة فِي الله حَقًا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: يَا أَبَا بَكُر أَلَيْسَ هَذَا التَنِيَة فِي الله حَقًا؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: يَا أَبَا بَكُر أَلْنُولُ اللهُ



رجلاً، وقد أُسِرَهُم المسلمُون، وانتظروا فيهم حُكمَ سبحانَ الله! فالنَّبِي عَظِير، وهو «وليُّ أمر المسلمين» يُطلِقُ سراح من يحاول قتلَ المسلمين من الكفَّار، ويسلِّم أبا جَندل لهم، وأبو جَندل ينادي في المسلمين بعدما أُمضيت رغبةُ سُهيل وشُروطه: «يا مَعشَر المسلمين! أَتَرُدُّوني إلى أهلِ الشَّرك فيَفتِنُوني في دِيني». ومن عِظات صُلْح الحديبية: أنَّ الصُّلحَ لا يأتي إلاَّ بالخيرِ كما قال تعالى: ﴿ وَٱلصَّلَحُ خَيْرٌ ﴾ وأنَّ الجنوحَ للسِّلم وابتغاءَ الْهُدْنَةِ من محاسنِ تعامُل المسلمين مع غيرِهم إذا لم يُكسِبْهم ذُلاَّ أو يُفَوِّت عليهم عِزًّا، كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوالِلسَّلْمِ فَأَجْنَعُ لَهُ ﴾ [الأنكان : ٢١]. والدَّليلُ على ذلك دعوةُ النَّبيِّ عَظِيرٌ قريشًا إلى الصُّلح الَّذي به تُعَظَّمُ حُرماتُ الله وتُحفظُ الدِّماءُ والأموالُ والأعراضُ حيثُ قال ﷺ: «لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ الله إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»، قال الخطَّان: «معني تعظيم جُرُمات الله في هذ

وحصلت أمورٌ غيرُها تَحَمَّلَها النَّبِيُ ﷺ منها: رفض شُهيل كتابة «الرحمن» وأبدل ذلك بكتابة «باسمك اللُّهم»، ورفضُه كتابةً محمَّد «رسول الله» وأبدلَ ذلك بكتابة: «محمد بن عبد الله»، واشترطت قريش أن يرجعَ المسلمون فلا يَعْتَمِرُوا هذا العام، بل يأتون في العام المقبل، كما اشترطت أن لا يأتيَ رجلٌ منهم إلى النَّبِيِّ ﷺ إلاَّ ردَّه ولو كان قَدِمَ لأجل الإسلام، وفي هذا بيانٌ للسِّياسةِ الشَّرعيَّة الَّتي ينبغي أن يَتَحَلَّى بها الإمامُ الأعظمُ أو من كان دونَه، وفيه كذلك حُسْنُ تربيةِ الأتباع على حُسن الظنِّ بالله والثِّقة المطلقة بوَعده. وبينا هم كذلك إذ دخل أبو جَنْدَل بنُ سُهَيل بنِ عَمْرِو يَرشُف في قيودِه، وقد خرج من أسفل

النَّبِي عَظِير الَّذي أمر بإطلاق سَراحهم (').



.[717:誕] ※ [[]] الدَّرس في قلوب المسلمين يَفْزَعُونَ إليه ويهتدون قَالَ: فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الكِتَابِ \_ في رواية: بحُكْمِه وحِكَمِهِ كلَّما تَعَرَّضُوا في معاملتهم إلى شَبِيهِ «فلمَّا انتهى إلى النَّبيِّ عَظِيرٌ جرى بينهما القولُ حتَّى ما وقع لأسلافهم، وهذا إثْرَ رجوع النَّبِيِّ عَظِير ومن وقع بينهما الصُّلحُ على أن تُوضع الحربُ بينهما عشرَ معه إلى المدينة، وهو قوله تعالى: ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتُحَامَبِينَا سنين وأن يَأْمَنَ النَّاسُ بعضُهم بعضًا، وأن يَرْجِعَ ٥ المبتقة : ١] الآيات. عنهم عامَهُم هذا».. ولمَّا كانت الْهُدْنَةُ وَوُضِعَتِ فأرسل رسولُ الله ﷺ إلى عمر هيلينه فأقرأه الحربُ وأَمِنَ النَّاسُ، كَلَّمَ بعضُهم بعضًا، والْتَقَوْا إِيَّاها، فقال: يا رسول الله! أو فَتْحٌ هو؟ قال: وتَفَاوَضُوا في الحديث والمنازعةِ ولم يُكَلَّمْ أحدٌ «نَعَم»، فطابت نفسه ورجع. بالإسلام يَعقِلُ شيئًا في تلك المدَّة إلاَّ دخلَ فيه، يقول الشَّاطبيُّ \_ رحمه الله \_: «فهذا من فوائدِ ولقد دخل في تَيْنِكَ السَّنتين مثلُ منْ كان في الملازمَة والانقيادِ للعلماءِ والصَّبرِ عليهم في مَواطِن الإسلام قبلَ ذلك أو أكثر \_ يعني من صَنَادِيدِ الإشكالِ حتَّى لاَحَ البرهانُ للعَيَانِ». قُريش -، وكان في الصُّورة الظَّاهرة ضَيًّا للمسلمين

وفي الصُّورة الباطنة عِزَّا لهم، فإنَّ النَّاس لأجل فالزم أخي الكريمَ غَرْزَ هؤلاء، وَسِرْ على الأمن الَّذي وقعَ بينهم اختلَط بعضُهم ببعض من نهجهم، وإيَّاكَ وَبُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ ومَن على رؤوسِها غيرِ نَكِيرٍ، وأسمعَ المسلمون المشركينَ القرآنَ، من المتعالمين المغرورين. وناظروهم على الإسلامِ جهرةً آمنين، وكانوا قبل «وفيه: قال سهل بن حنيف هِيْهُ يوم صَفِّين:

الكريم.

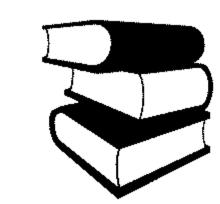
قال ذلك لَما عَرَض لهم فيه مِن الإشكالِ، وإنَّها نزلت سورةُ الفتح بعدما خالطهم الحزنُ والكآبةُ لشدَّة الإشكالِ عليهم والْتِبَاسِ الأمرِ، ولكنَّهم سلَّمُوا وتركوا رأيَهم حتَّى نزل القرآنُ، فزال الإشكالُ والالتباسُ، وصار مثلُ ذلك أصلاً لمن بعدَهم، فالْتَزَمَ التَّابعون في الصَّحابة سيرَتَهم مع النَّبيِّ الشَّرعيَّة»<sup>(1)</sup>.

أين هذا من أولئك الَّذين سفكوا الدِّماء واسْتَحَلُّوا الحرمات وَرَوَّعُوا الآمنين بحجَّة نصرة المسلمين والغَيْرة للإسلام والدِّين، وبدعوى الجهاد في سبيل الله؟!!

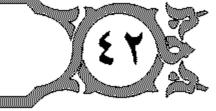
إذًا فمن أهمِّ الدُّروس المستفادة أنَّك إذا لم يحتمل عقلُك وغَيْرَتُك وحماسُك أمرًا مَا، فلا تذهب إلاَّ إلى العلماء الرَّاسخين الذين جاءت أوصافُهم في الشَّريعة؛ فإنَّ هذا الأمرَ دينٌ فلينظرْ أحدُكم عَمَّنْ يَأْخُذُ دينَه، وإذا بَانَ لك موقفُ العلماء الرَّاسخين فالْزَمْ غَرْزَهُمْ، وإنْ خالَفْتَهُم فاتَّمِم رأيك وإن بلَغ

(۱) مسلم (۳/ ۱٤٤۲)، أحمد (۱/ ۸٦).
(۲) «الموافقات» (۱/ ۱٤۲ ـ ۱٤۲).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٥/ ٣٣٦).



العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧





إصلاع النفونان (دوره وأهميته)

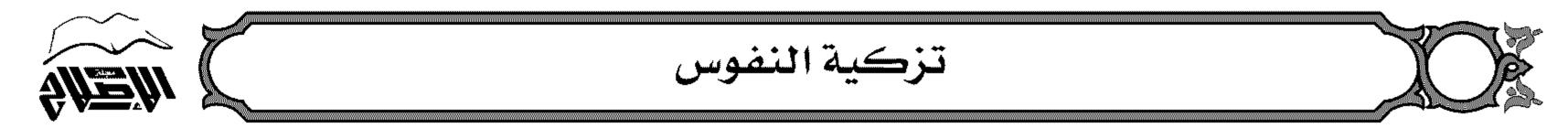
عبرالحاج مسعود

يُزكِّيهم: يطهِّرُهم من الشِّرك والجهل والبدعة والأعمال الفاسدة والأخلاق القبيحة والصِّفات الذَّميمة، ويُنَمِّي نفوسَهم بالتَّوحيد والطَّاعة والأخلاق الحسنة.

ويعلِّمُهم الكتابَ والحكمةَ؛ أي القرآن والسُّنَّة، فبالعلم والتَّزكية \_ وإن شئتَ قلتَ: «التَّصفية والتَّربية» \_ تَطْهرُ قلُوبُهم وتَزْكُو نفوسُهم فلا سعادةَ للعبد ولا صَلاَحَ لقلبه ونفسه إلاَّ وتَصْلُح أعمالُهُم وتَحَسُن أخلاقُهم، ولهذا لمَّا هاجر بعض الصحابة عظيفه إلى الحبشة سألهم النَّجَاشيُّ عن دينهم، فقال له جعفر بن أبي طالب عينه اليما وقال عزَّ وجلَّ مُبَيِّنًا وظيفةَ نبِيِّه محمدٍ ﷺ: الملِك كنَّا قومًا أهلَ جاهليةٍ نعبُد الأصنامَ، ونأكل ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِي ٱلْأُمِيتِ نَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتَ لُوا عَلَيْهِمْ مَايَنِهِ، الميتةَ، ونأتي الفواحشَ، ونقطعُ الأرحامَ، ونُسِيءُ الجوارَ، ويأكل القويُّ منَّا الضَّعيفَ، فَكُنَّا على ذلك وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِنْبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ حتَّى بعث الله إلينا رسولاً منَّا نعرف نسبَه وصِدْقَه مَبِينِ ٢: ٢].

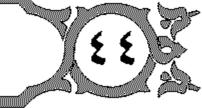
إِنَّ اللهَ جلَّ وعلا بعث الأنبياءَ والمرسلين عليهم الصَّلاة والسَّلام وأنزل الكتبَ وشرع الأحكامَ لتطهير القلوب من أَدْرَانِها وتزكيةِ النَّفوس من أَوْضَارِهَا، وأصلُ ذلك وأساسُه توحيدُ الله وعبادتُه وحده لا شريك له، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيّ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَآ إِلَهُ أَنَا فَأَعْبُدُونِ شَنْ ٢٥]. بتوحيد ربِّه وعبادته ومحبَّتِه وتعظيمه وخوفه ورجائه، قال تعالى: ﴿ لَوَكَانَ فِيهِمَآءَالِهُ أَلِا ٱللهُ لَفُسَدَتًا ﴾ [اللَّيْكَا: ٢٢] ().

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٢٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧



وأمانتَه وعَفَافَه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبدَه من الأهواء المضِلَّة والفِتَنِ المهلكة، وإصلاحُ الفساد ونخلعَ ما كنًّا نعبد نحن وآباؤُنا من دونه من الواقع في العقيدةِ، مثل: عبادةِ القبور ودعاءِ الموتى ومعاملةِ السَّحرةِ والمشعوذين، وإزالةُ الآفات الحجارة والأوثان، وأمَرنا بصِدق الحديثِ، وأداء الاجتماعيَّة الَّتي عمَّتْ وأَعْمَتْ، مثل: الرِّبَا والزِّنَا الأمانةِ، وصلة الرَّحِم وحسن الجوار، والكفِّ عن والرّشوة وتعاطي المخدِّرات...، وتصحيحُ المفاهيم المحارم والدِّماءِ، ونهانا عن الفواحش وقولِ الزور...»<sup>(۲)</sup>. الخاطئةِ المتعلِّقة بمسائل الإيمان والكفر، والسُّنَّةِ والبدعةِ، والولاء والبراء، والمعروفِ والمنكر... وقام النَّبِي عَظِير بهذا العمل \_ إصلاح النُّفوس \_ حتَّى تُفْهَم فهمًا صحيحًا يُوافق الكتابَ والسُّنَّةَ أحسنَ قيام وأكملَه وأَتَمَةُ حتَّى صار جيلُ الصَّحابة بفهم سَلَفِ الأُمَّةِ. حيَني أعظمَ النَّاس عِلْمًا وأكملَهم إيهانًا وأبَرَّهُم إِنَّ الإصلاح هو عمليَّةُ إنقاذ النُّفوس والقلوب قلوبًا وأتقنَهم عَمَلاً وأحسنَهم نُحَلُّقًا، وجعل الله منهم خيرَ أمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس، قال الله تعالى: ﴿ كُنتُم من ظُلمات الجهل والشِّرك والبدعة والمعصية إلى نور العلم والتَّوحيد والسُّنَّةِ والطَّاعة، قال الله تعالى: خَيْرُ أُمَّتَةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [الْتَخْلَقَ : ١١٠]. ﴿ أَوَمَنَ كَانَ مَيْسَتًا فَأَحْيَيْنَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِى بِهِ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي ٱلظُّلُمَنِ لَيْسَ بِخَارِج مِنْهَا كَذَلِكَ زُبِّينَ إِنَّ إصلاحَ النُّفوس وتربيتَها بالعلم النَّافع لِلْكَنِفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٢) [الله : ١٢٢]، والعمل الصالح والتَّوحيدِ والسُّنَّةِ أصلٌ في بِنَاءِ وبذلك تَعْمُرُ البواطنُ بالإيمان والتَّقوى والإخلاص المجتمع على منهاج النبوَّة. والمراقبة والمحبَّة والخوف والرَّجاء، وتصلحُ وإذا نظرنا إلى واقع المسلمين اليوم وجدنا 

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧



تزكية النفوس الإصلاح

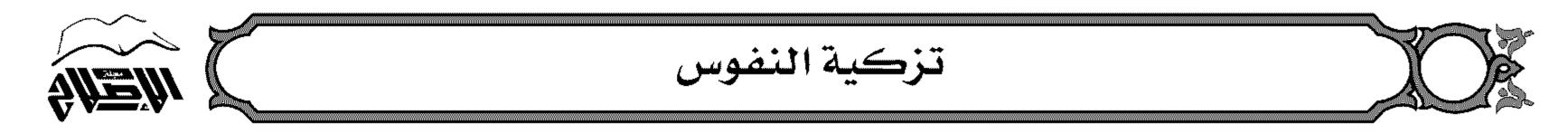
فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوْةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمُ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهُوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ كَانُوا يَعْمَلُونَ ٢٠ [الخَلَكَ : ٩٧]، وقال النبي عَلَيْهُ: وَيُسَرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَتِ وَأَوْلَتَهِكَ مِنَ ٱلصَّلِحِينَ «بَدَأُ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا فَطُوبَى .[۱۱٤\_۱۱۳: ١٠٠٠]. وقال النبي ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا لِلْغُرَبَاءِ»<sup>(°)</sup>. صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ وجاء تفسير الغرباء عند غير مسلم من الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»<sup>(")</sup>. حديث عبد الله بن مسعود عطين قيل: مَنْ هُم يا رسول الله؟ قال: «الَّذِينَ يَصلُحُون إذَا فَسَدَ إنَّ إصلاح الفرد والمجتمع والأمَّة هو السَّبَبُ النَّاسُ»<sup>(7)</sup>. في رجوع مَجْدِ المسلمين الأصيل، وعَوْدَةِ عِزَّهم وهو سبيل النُّصْرِ والتَّمْكين والانتصار على الأثيل، قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ أعداء الدِّين، قال الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ مَامَنُوا مِنكُرُ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [المتافِقْتَ : ١٠]، وقال النَّبِي ﷺ: «إذَا تَبَايَعْتُمْ بِالعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ البَقَر وَرَضِيتُمْ وَعَكِمُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمُ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلُفُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمُ الجِهَادَ، سَلَّطَ اللهُ عَلَيْكُمْ ذُلاًّ لاَ ٱرْبَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُسَدِّلَنَّهُمُ مِّنْ بَعَدٍ خَوْفِهِمْ أَمْنَا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إلى دِينِكُمْ<sup>(٤)</sup>. يُشْرِكُونَ بِى شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعَدَ ذَلِكَ فَأُوْلَبَهِكَ هُمُ وهو سببٌ كذلك لنيل الرِّفعة والشَّرفِ ٱلْفَنُسِعُونَ ٢٠٠٠ [النَّخْد: ٥٥]، وقال: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ والبعدِ عن الهلاك والتَّلَفِ، وانتشار الأمن والسَّلام اَمَنُوا إِن نَنْصُرُوا اللهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ أَنْ إَنْ الْحَدَانَ الْحَدَانَ اللهُ اللهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ أَنْ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ المُحْدَلُمُ وَيُثَبِّتَ أَقْدَامَكُمْ أَنْ اللهُ مُواللهُ اللهُ ال اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ الل اللهُ لاللهُ اللهُ الللهُ اللهُ لاللهُ اللهُ الل وحلول الأمان والوئام، قال الله تعالى: ﴿ وَٱلْعَصَرِ ١٠]، وقال النَّبي ﷺ: «إِنَّهَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ ٢ إِنَّ ٱلْإِنسَنَ لَغِي خُسَرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

بِضَعِيفِهَا بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاَتِهِمْ وَإِخْلاَصِهِمْ» (٧).

وهو كذلك سبيلُ النَّجاة من الفِتَن وطريقُ السَّلامة من المحَن، قال الله تعالى: ﴿ فَلَوْلَاكَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أَوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهُونَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ

ٱلصَّلِحَتِ وَتَوَاصَوْا بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِٱلصَّدِ ٣ [العَصَى : ١ - ٣]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ مَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوٓا إِيمَانَهُم بِظْلَمٍ أَوْلَتِهِ كُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُهْتَدُونَ (٢) (الله الله : ١٢]، وقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ



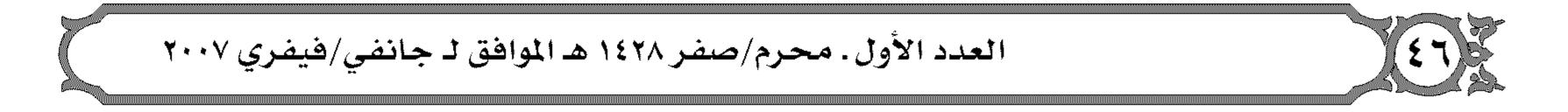


فنسأل الله العظيمَ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعلنا صالحين مُصلحين هداةً مُهْتَدِين، والحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على عبده ونبيِّه محمَّد وعلى آله وصَحْبِه أجمعين.

إِلَّاقَلِيلًا مِّتَنَ أَجْيَنَا مِنْهُمْ وَٱنَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرِفُوا فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ٢ أَنْ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظْلَمٍ وَأَهْلُهُمَا مُصْلِحُونَ ٢٠٠٠ [هود: ١١٦ -١١٧]، وقال النَّبيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْ عِنْدِهِ ثُمَّ لَتَدْعُنَّهُ فَلاَ يَسْتَجِيبُ لَكُمْ»<sup>(٨)</sup>. إنَّ شخصيةَ المسلم المنشودَةَ ومكانَتَه المفقودةَ لن تعود إلاَّ بالصَّلاَح والإصْلاَح بالمعنى الشرعيِّ الصَّحيح، ومن رَامَ الوصولَ إلى ذلك دونَ تحقيق التَّوحيدِ الخالصِ والعبادةِ الصَّحيحةِ والأخلاق الحسنةِ والاجتماع على الكتاب والشُّنَّة بفهم سلف الأمَّة، فَمَرَامُهُ ضَرْبٌ مِنَ الْمُحَالِ، وسُؤالُه نوعٌ من الخيال. قال الله تعالى: ﴿ أَفَكُنَ أَسَسَ بُنْيَكُنُهُ عَلَى تَقُوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضُوَانٍ خَيْرُ أَمْ مَّنْ أَسْكَسُ بُنْيَكُنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَأَنَّهَارَ بِهِ فِي نَارِجَهُمَّ ﴾ [التَخْبَا: ١٠٩].

(۱) انظر: «مجموع الفتاوی» (۱/۲٤)، «جامع العلوم والحكم» (۱/۳۵۱).
(۲) أخرجه أحمد (رقم ١٧٤٠).
(۳) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).
(٤) أخرجه البخاري (٢٤٦٠).
(٥) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (١٤٥).
(٦) انظر: «الصحيحة» (٢٢٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (٢٨٩٦)، والنَّسائي (٢١٦٩) واللَّفظ له.
(٨) رواه أحمد (٢٣٦٢)، والتَّرمذي: (٢١٦٩)، وقال: «هذا حديث حسن».





## điện cgliệ

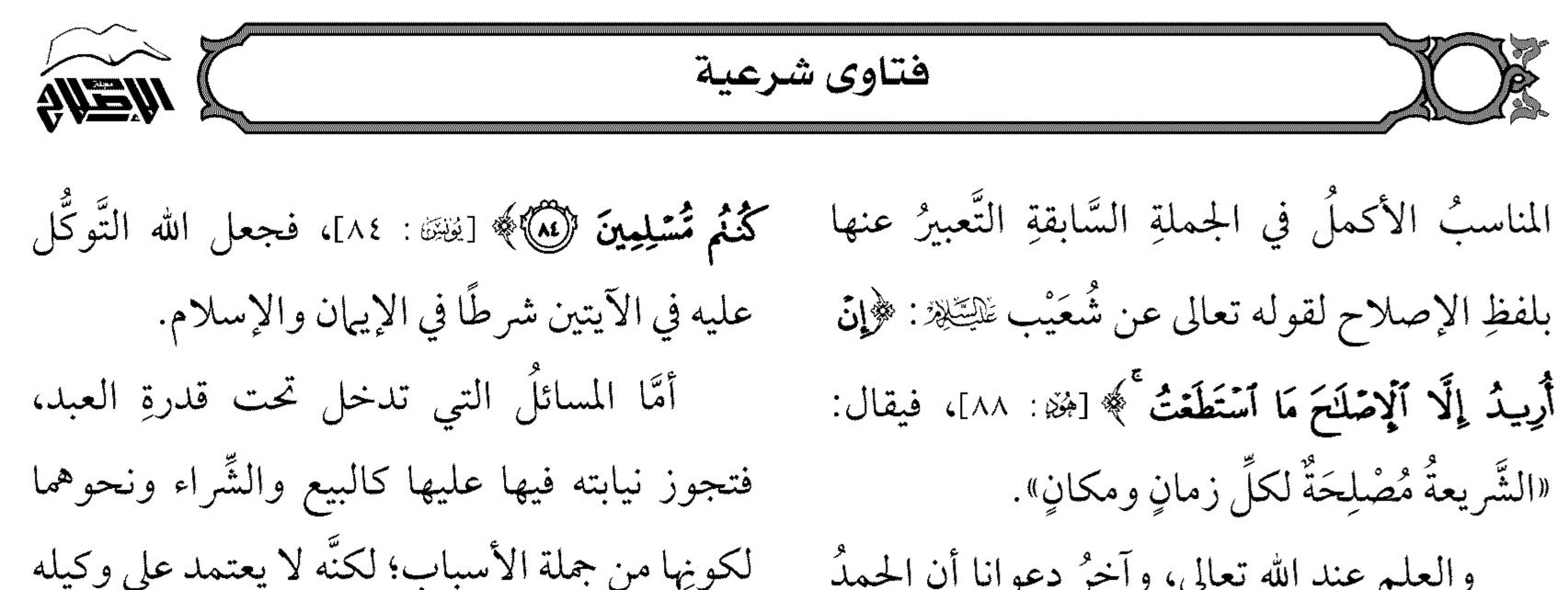


محبد على فركوس

صَلِحًا ﴾ [التمنيُّة : ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا حكم عبارة صُلِحًا ﴾ [الكمن : ٨٢]، والصَّالحُ هو: المستقيمُ الحالِ الشريعة صالحة لكل زمان ومكان في نفسه، الخالص من كلٍّ فسادٍ (`). \* الشُّؤال: ما رأيكم في عبارة القائل: «إنَّ أَمَّا إِنْ قَصَدَ أَنَّ أُوضاعَ الزَّمانِ وهيئاتِه لا يُصْلِحُها إلا الشَّريعةُ الإسلاميَّةُ، فالتَّعبير بالإصلاح أَوْلَى وأَنْسَبُ؛ لأنَّه ضدُّ الفساد والإفسادِ، فأَصْلَحَ \* الجواب: الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة يُصْلِحُ من الفعل المُتَعَدِّي بالهمزةِ، منْ إصلاح الشَّيءِ، أي: أزالَ الفسادَ عنه، والمصْلِحُ هو: المستقيمُ الحالِ في نفسه، المزيلُ الفسادِ عن غيره، فهذه العبارةُ مُتَوَقِّفَةٌ على إرادةِ قائلِها، فإنْ فيقال: أَصْلَحَ ذَاتَ البَيْنِ أَي: أَزَالَ مَا بَيْنَهُمَا مِن عداوةٍ وشقاقٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن طَآبِفُنَانٍ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْنُتَلُوا فَأُصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [التابي: ٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَاتَقُوا ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنتاك : ١]، وعلى هذا المعنى فالتَّعبيرُ بالصَّلاح قَاصِرْ، وإنَّها

الشَّريعة صالحةٌ لكلِّ زمان ومكان»؟ والسَّلام على مَنْ أرسلَه اللهُ رحمةً للعالمين، وعلى آله وصَحْبِه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد: قَصَدَ خُلُو الشَّريعةِ منْ فسادٍ في ذاتِها فيجوز أنْ يُعَبِّرَ

عنها بالصَّلاح؛ لأنَّه ضدُّ الفسادِ: وهو سُلُوكُ طريقِ الهدَى، وصَلَحَ يَصْلُح مِنَ الفعلِ اللآَزمِ أو القَاصِرِ الذي لا يتعدَّى محلَّه، أي: خَلاَ عنه الفسادُ أو زال عنه، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَلَيَعْمَلُ عَهَلًا



والعلم عند الله تعالى، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ

في حصول ما وكَّلَ إليه فيه، وإنَّها يتوكُّلُ على الله في تحصيل المراد وتيسير أمره أو أمر نائبه. وعليه؛ فإنَّ الوَكَالَةَ تُعَدُّ من جملة الأسباب، والأسبابُ لا يُعتمد عليها وإنَّما يُعتمد على مُسَبِّبِ الأسباب وخالق السَّبَبِ والمسَبَّبِ وهو الله جلّ وعلا. والعلمُ عند الله تعالى، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين. في الاستسقاء بالأنواء ومدى جواز نسمية اططر بالنوء \* السُّؤال: يُسَمِّي النَّاسُ في منطقتنا إلطرَ بالنَّوْءِ، فما حكم الاستسقاء بالأنُّواء؟ وهل يجوز التَّعبير

لله ربِّ العالمين، وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبِه وإخوانِه إلى يوم الدِّين وسلَّم تسليمًا. حكم القول للمخلوق: «نَوَكُلْتُ عَلَيْكَ» \* السُّؤال: مِن أنواع العبادة «التَّوكُّل» فهل يجوز أَنْ أقول لأحد «توكَّلت عليك»؟ \* الجواب: الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسَّلام على مَنْ أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد: فلا يقول: «تَوَكَّلْتُ عَلَيْكَ» وإنَّما يقول «وَكَّلْتُكَ، وَتَوَكَّلْتُ عَلَى الله»؛ لأَنَّ التوكُّل هو اعتمادُ القلب على الله في جَلْبِ المنافع ودفع المضارِّ مع

٤٨

- الثِّقة بالله وفعل الأسباب، والتوكُّلُ بهذا الاعتبار بهذه التَّسمية مع الاعتقاد بأنَّ المطرَ من الله تعالى؟ خاصٌ بالله سبحانه، قال تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ أَنْ الطائلة : ٢٣]، وقال تعالى في آية \* الجواب: الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة
- والسَّلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله أخرى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَنَقَوْمِ إِن كُنْتُمْ ءَامَنْتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن
  - العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧

وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد: من غير اقترانه بالاعتقاد السَّابق. أمَّا إذا تعارف أهلُ منطقة إطلاقَ النَّوْءِ على فمسألة الاستسقاء بالأنواء يختلف الحكم فيها ذات المطر من غير التفات أصلاً إلى الطَّالع والغارب باختلاف المعتقد في النَّجم الطَّالع والغارب، فإن من النَّجم وغَلَبَ عُرْفُ استعمالهم فيه، فأرجو أن اعتقد أنَّ النَّجم مؤثَّر بذاته، أي هو الفاعلُ دونَ الله تعالى أو معه في إنزال المطر، فهذا شِرْكٌ أكبرٌ في يجوز ذلك من غير حَرَج، إن شاء الله تعالى.



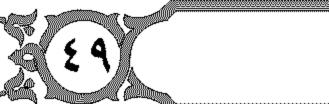
الرُّبوبيَّة، وإن توجَّه إليه بالدعاء والعبادة كان شركًا أكبر في الألوهية، ولا يخفى أنَّ الشِّرك في الألوهيَّة يتضمَّن الشِّرك في الرُّبوبية؛ لأنَّه ما توجَّه إلى النَّجوم بالدُّعاء إلاَّ لاعتقاده أنَّها فاعلةٌ ومؤثَّرَةٌ تدفع الأضْرَار وتقضي الحوائج، فمثل هذا الشِّرك ينافي التَّوحيد. أمَّا إذا اعتقد أنَّ المطْلَعَ النَّجْمِيّ سببٌ، وأنَّ منزِّل المطر هو الله سبحانه فهو شرك أصغرْ، ينافي كمال التَّوحيد؛ لأنَّ الله تعالى لم يجعله سببًا لا بِنَصٍّ ولا تقدير. هذا، وقد جاء من كلام العلماء التَّفريقُ بين باءِ

والعلم عند الله تعالى، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين وسلَّم تسليمًا.

في حكم النداوي بما يعرف بـ: "القطيع"

\* الشُّؤال: هل يجوز التَّداوي بها يُسَمَّى بالعامِّيَّةِ: «القطيع»؟

\* الجواب: الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله السَّببيَّة في قولهم: «مُطرنا بنَوْءِ كذا»، والتعبير بد في» وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد: الظَّرفيَّة في قولهم: «سُقِينَا في نَوْءِ كذا»، أي في ذلك فإنْ كان التَّداوي بما يُسَمَّى بـ «القطيع» على الوقت، ويجوز التَّعبير بالظَّرفيَّة دون السَّببيَّة؛ لأنَّه وجه الرُّقيةِ الشَّرعيَّة بالقرآن الكريم، والأذكار ليس فيها نسبة المطر إلى النَّجم، بخلاف باء السَّببيَّة، فإنَّ في التَّعبير بها نسبة المطر إلى الطَّالع أو الغارب، النَّبويَّة والأدعيَة المأثورة الثَّابتة، وسَلِمَتْ رقيتُه من الشِّرك، والكلام الَّذي لا يُفهم معناه، ولم فلا يجوز ولو من باب التَّساهل في التَّعبير. تُسْتَصْحَبْ باعتقادِ تأثيرها بذاتِها إلاَّ بتقديرِ الله وبناءً عليه فإنْ أُطْلِقَ النَّوْءُ على وَقْتٍ جرَت تعالى، فإنَّ هذه الرُّقيةَ جائزةٌ شرعًا لما ثبتَ عن النَّبيِّ عادةُ الله تعالى في أنْ يأتي المطرُ في تلك الأوقات جازَ



في صحة اسنعمال عبارة: «جَابُ لِي رَبِّي»! \* الشُّوَال: ما حكمُ كلمة: «جَابُ لِي رَبِّي»؟ \* الشُوَال: ما حكمُ كلمة: «جَابُ لِي رَبِّي»؟ \* الجواب: الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على من أرسله الله رحة للعالمين وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين أمَّا بعد: فعبارةُ: «جَابُ لِي رَبِيَّ» وإن كان مُرَادُها عند المتكلم هو: «ما خَطَر ببالي» إلاَّ أنَّ هذه العبارة في حدِّ ذاتها خطأٌ، إذ هي مأخوذةٌ من عبارات المتصوّفة الَّذين يعتقدون أنّ من مصادر التَّلقِّي: الإلهام من الله مباشرَة، ويجري على لسانهم «حدَّني بَبَعَض الصَّبَّارِ مُنْتَزَعَة الأَشُواكِ تحت رِجْلِ المريض أوراقَ الصَّبَّارِ مُنْتَزَعَة الأَشُواكِ تحت رِجْلِ المريض لعلاج مَرَض الظَّهر والرِّجلين والمفاصل، ثمُّ يقطع ورقِ الصَّبَّار المقطوع، أو يضع عِيدانًا من قَصَبِ خُضْرِ للمريض يدْلكُهُ برِجْله قَصْدَ الاستشفاء من مرض عِرْقِ النَّسا، ثمَّ يحتفظ بها المريض في بيته حتَّى تيْبَسَ ويعلِّق شفاءَه على جفوفها، أو يضع سِكِّينًا ساخنًا يمرِّرُه على رأس المريض ثلاث مرَّات أو سبع مرَّات، وقد يجرح الرَّاقي يدَ المريض، ويَحُكُّ مكان الجرْحِ بِبَصْلَةٍ ونحوها على وجه يقطع به مرض «الصَّفراء»، فإنَّ هذه الطُّرق وأشباهها ألصقُ حكمًا بالمنع، ولعدم ثبوتِها عن النَّبيِّ عَنْ أَنَّه قام بفعلها لنفسه أو أمَرَ بها

0 \* ))

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧

فَيْتَ العضوِ أو مَن يَتَّصِف بهِ لا الخالقِ سبحانه، ذاتِ العضوِ أو مَن يَتَّصِف بهِ لا الخالقِ سبحانه، فيقال مثلاً: عيبٌ عضويٌّ، أو تَنَاسُلِيٌّ، أو جسهانيُّ، أو صَدْرِيٌّ، أو هَضْمِيٌّ، وتُتْرَك العبارةُ السَّابقة تأدُّبًا مع الله تعالى. والعلم عند الله تعالى، وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله على محمَّد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين وسلَّم تسليمًا. (۱) «التعريفات» للجرجاني: (۱۳۱)، «الكليات» لأبي البقاء: (۱۵۰). (۲) أخرجه مسلم في السلام (۲۰۸۰)، وأبو داود في الطب (۲) مَرْجه مسلم في السلام (۲۰۸۰)، وأبو داود في الطب (۲۰۸۸)، والحاكم في «المستدرك»: (۲۰۹۳)، والبيهقي

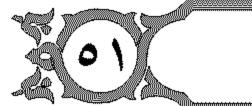
الهنديّة واليونانيّة والرهبانيّة شَوَّهَ جمالَ الإسلام وصفاءَ عقيدتِه وحالَ دون تقدُّم المسلمين، لأجل ذلك ينبغي تجنّب استعمال مثل هذه العبارات. والله أعلم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدين وسلم تسليما. **ما حكم قولهم: «عَيْبَ حُلْقِي»؟** 

\* السؤال: ما حكم قولِ بعضِهم: «عَيْبٌ خَلْقي»؟

\* الجواب: الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على من أرسله الله رحمةً للعالمين، وعلى آله وصحبه وإخوانه إلى يوم الدِّين، أمَّا بعد: فلا ينبغي وصف العيب بأنَّه خَلْقِي في استعمال عبارة «عيب خَلْقِي» لما فيه من إضافة العَيْبِ ونسبتِه إلى الخالق عزَّ وجل، والله سبحانه هو المتَّصف بالكمال في ذاته وصفاته وأفعاله، وكلُّ

والبيهقي (٢٠٠٧٩)، من حديث جابر بن عبد الله عنه. (٤) أخرجه أحمد (١٩١٣٠)، والحميدي في «مسنده»: (٢٨٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار»: (٢/ ٢٨٧)، من حديث الشريد بن سويد عينه. وصحّحه الألباني في «السّلسلة الصّحيحة»: (١٤٤١).

(٣) أخرجه مسلم في السلام (٥٨٦١)، وأحمد (١٤٧٥٦)،



سير الأعلام 

محسد لوزاني

هذه نبذةٌ مختصرةٌ وكلمةٌ موجزةٌ عن المكانةِ \* الظّروف التي ظهرت فيها دعوة الشَّيخ العلميَّة التي تَبَوَّأَهَا العلاَّمةُ الشَّيْخُ محمَّد البشير البشير الإصلاحية: لقد ظهر صَوْتُ هذا العالم الكبير والدَّاعية الإبراهيمي \_رحمه الله \_ مع بيان بعض آثاره المصْلِح الحكيم في مرحلةٍ تاريخيَّة حاسمةٍ، قد أخنى وأعماله الإصلاحيَّة التي خلِّفها بعده. فيها الاستعمار الفرنسيُّ على الجزائر وتمكَّن منها، فهو \_ رحمه الله تعالى \_ علاَّمةُ المغرب العَرَبيِّ وأفرغ فيها جميعَ شرورِه، وسَدَّ في وجهها جميعَ أبواب بحقٍّ، وأحدُ أئمَّة النَّهضةِ العلميَّة في العالم التَّطُوُّر والرُّقِيِّ، فأضعف الدِّين في النَّفوس ونشرَ الإسلاميِّ، ورائدٌ من روَّاد الإصلاح في القُطْرِ الفسادَ في المجتمع، وعَمَد إلى تجهيل النَّاس وخَنْقِ الجزائريِّ، وهو من الأفْذَاذِ المعْدُودِينَ يَعِزُّ أَن يُوجد الأنْفَاسَ، وقَطْع الصِّلاتِ بين الجزائر وجيرانِها، ولا له نَظِيرٌ في العِلم والعَمل، ولا يكاد يكون في كلِّ توجد كلمةٌ أصدق في التَّعبير عن حقيقته، وكشف زَمانٍ مثلُه إلاَّ في فترات من الدَّهر ليكون جَذْوَةً أهدافه وغاياته من كلمة البشير نفسِه حيث يقولُ: وسِرَاجًا منيرًا يَهْتَدِي به المصلحون، وشِهابًا ثاقبًا

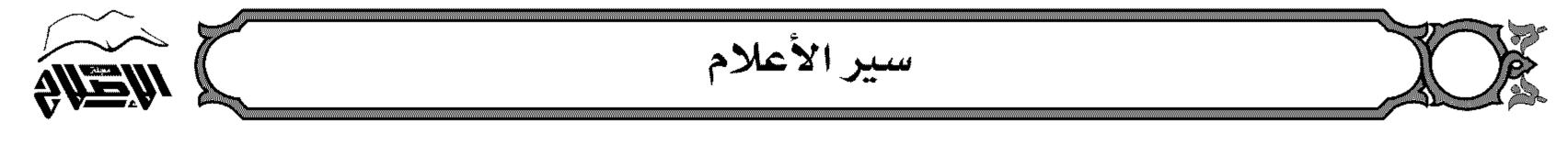
على الباطل وأهلِه، يفضح مكرَهم وتلبيسَهم، «جاء الاستعمار الفرنسيُّ إلى هذا الوطن كما تجيء ويكشف شُبُهَاتِهم، فَيَذَرُهَا عاريةً باديةً للعَيَانِ، لا الأمراضُ الوافدةُ، تحمل الموتَ وأسبابَ الموت»<sup>(١)</sup> يُوَارِي زَيْفَهَا ولا يستُرُ زُخرفَها حجابٌ، ليَحْيَى من ويقول في موضع آخر في بيان حقيقة حَيَّ عن بَيِّنَة ويَهْلِكَ من هَلَكَ عن بَيِّنَة.

07)

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧

سير الأعلام 

\_رحمه الله\_: «لَبِثَتْ عواملُ الاستعمار تَهدم من «والاستعمار شُلَّ يحاربُ أسبابَ المنَاعَةِ في الجسم الصَّحيح، وهو في هذا الوَطَنِ قد أَدَارَ هيكلَ الإسلام ولا تَبْنِي، وترمي المقوِّماتِ قَوانينَه على نَسْخ الأحكام الإسلاميَّة، وعَبَثَ الإسلاميَّةَ والخصائصَ العربيَّةَ في كلِّ يوم بفَاقِرَةٍ من المسْخ، إلى أن تَكَوَّنَتْ جمعيةُ العلماء المسلمين بِحُرْمَةِ المعابِدِ، وحارب الإيمانَ بالإلحاد، والتَّعليم الجزائريين منذ خمسةَ عشرَ عامًا، تَكَوُّنًا طبيعيًّا كأنَّه بإفْشَاءِ الأميَّة، والبيانَ العربيَّ بهذه البَلْبَلَةِ الَّتِي لا نتيجةٌ لازمةٌ لتلك الحالة، وقامت تعمل لإصلاح يستقيم معها تعبيرٌ ولا تفكيرُ<sup>(٢)</sup> الإسلام بين المسلمين، وللمطالبةِ بحقوقه المغْصُوبة، لقد عمل المستعمرُ جادًا على تحقيق تلك الأهداف وبحريَّةِ لغتِه المسْلُوبَة، وسمِع الاستعمارُ لأوَّل مرَّةٍ في الخبيثة والغايات الدَّنيئة، وسَخَّر في سبيل ذلك كلَّ ما حياته بهذه الدِّيار نَغْمَةً جديدةً لم تَأْلَفْهَا أَذْنَاه، تدعو تحت يده من إمكاناتٍ ووسائلَ حتَّى ظَنَّ أَنَّ شُعْلَةَ إلى الحقِّ في قوَّة، وتُطالب بالإنصاف في مَنْطِق، الإسلام قد انْطَفَأَتْ في هذا الوطن، وأنَّ لغةَ القرآن وأحَسَّ دَبِيبَ الحياةِ والشَّعور الإسلاميّ، فلم ينظر الكريم قد اخْتَفَتْ من الوجود وإلى الأبد، ولكن هَيْهَاتَ إلى ذلك كلِّه على أنَّه حقٌّ طبيعيٌّ معقول»<sup>(")</sup> فأنَّى لمخلوق ضعيفٍ أن يُطْفِئَ نورَ الله بِفَمِهِ أو مَكْرِهِ، وقد أبَى الله إلاَّ أنْ يُتِمَّهُ ولو كَره الكافرون. \* جوانب الإصلاح في دعوة الشَّيخ البشير الإبراهيميِّ: فكان من البَدَهي في ذلك الظّرف العصيب يمكن تصنيف أعمال الشَّيخ الإبراهيميِّ الاهتمامُ بالجانب الإصلاحيِّ للنَّهضة بالأمَّة، والعملُ الإصلاحيَّة تحت محورين كبيرين؛ محور الإصلاح على إصلاح ما أفسده الاستعمارُ لأنَّه لا يمكن التخلُّص الدَّينيِّ، ومحور الإصلاح الاجتماعيِّ، وهناك تَلازمُ من المستعمر مع بقاء أسباب وجوده وقوَّته في الأمَّة. ضروريٌّ بين المحورين في نَظَرِهِ لتحقيق النُّهوض لذلك نَجِدُ الشَّيخَ \_ رحمه الله تعالى \_ اعتنى بالبلاد ثقافيًّا واجتماعيًّا فيقول \_ رحمه الله \_: عنايةً عظيمةً بإصلاح ما أفسده الاستعمارُ واهتمَّ «والحقيقةُ أنَّ هذه الجمعيَّة تعمل من أوَّلِ يوم بذلك اهتهامًا كبيرًا، بل كان هو الهدفَ الرَّئيسيَّ الَّذي أُسِّسَتْ لأجله «جمعيةُ العلماء المسلمين» التي تكوينها للإصلاح الدِّينيّ والإصلاح الاجتماعيّ، وكلُّ ذلك يَسَعُ الإسلامَ، وكلُّ ذلك يَسَعُهُ مدلوهُا هو أحد أعضائها ونائبُ رئيسها، وفي ذلك يقول العدد الأول. محرم/صفر ١٤٢٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧ 04



ومضمونُها وقانونُها، فالإسلامُ دينُ اجتماع؛ وإذا فقد عمل الشَّيخ \_ رحمه الله \_ في هذا المجال كانت دائرةُ الأوَّل محدودةً فإنَّ دائرةَ الثَّاني واسعةُ على تحقيق ما يلى: الأطراف، وإنَّ الإصلاح الدِّينيَّ لا يتمُّ إلاَّ بالإصلاح \* تحرير العقول من الضَّلالات والأوهام في الاجتماعيِّ، ولهذا الارتباط بين القسمين، فإنَّ جمعيَّةَ الدِّين والدُّنيا، وتحريرُ النُّفوس من تأليه الأهواء العلماء عملت منذُ تكوينِها في الإصلاحَيْن المتلازمَيْن، والرِّجال وفي ذلك يقول \_رحمه الله\_: «إنَّ تحريرَ وهي تعلم أنَّ المسلمَ لا يكون مسلمًا حقيقيًّا مستقيمًا في العقول لأساسٌ لتحرير الأبدانِ وأصلٌ له، ومحالٌ أن دينه على الطّريقة حتى تستقيمَ اجتماعيَّتُه فيحسُنُ يتحرَّرَ بَدَنٌ يحمل عقلاً عبدًا؛ إنَّ هذا النَّوعَ من إدراكُه للأشياء، وفهمُه لمعنى الحياة، وتقديرُه لوظيفته التَّحرير لا يقوم به، ولا يقوَى عليه إلاَّ العلماءُ فيها، وعلمُه بحظٍّه منها، وينضُجُ عقلُه وتفكيرُه، ويُلِمُّ الرَّبَّانيُّونَ المصلحُون، فهو أثرُ طبيعيٌّ للإصلاح الدِّينيِّ بزمانه وأهل زمانه، ويتقاضى من أفراد المجموعة الَّذي اضْطَلَعَتْ بحمله جمعيةُ العلماء، عرَف ذلك من البشريَّة ما يتقاضَوْنَه منهُ من حقوقٍ وواجباتٍ، ويرى عرَفَه لها إنصافًا، وأنكرَه من أنكرَه عنادًا وحسدًا» (°). لنفسه من العِزَّةِ والقوَّة ما يرونه لأنفسِهم، وتربط بينه \* إصلاحُ عقائدِ المسلمين وإراداتِهم لتصحَّ وبينهم رابطةُ الأخوَّة والمساواة والمصلحة، لا رابطةً عباداتُهم وأعمالهم؛ لأنَّ العباداتِ هي أثرُ العقائدِ كما أنَّ السِّيادةِ عليه والاستئثارِ دونه»<sup>(٤)</sup>. الأعمالَ هي أثرُ الإرادات، فما انْبَنَى منها على الصَّحيح المحور الأول - الإصلاح الدِّينيُّ: فهو صحيحٌ، وما انْبَنَى على الفاسدِ فهو فاسدٌ. إنَّ الغاية العظمى والهدفَ الأسمى من هذا ويشرحُ الشَّيخُ \_ رحمه الله \_ الطّريقةَ الَّتِي يتمُّ الإصلاح هو إرجاعُ المسلمين إلى كتاب ربِّهم وسنَّةِ بها ذلك فيقول: «إنَّ في الفقه فِقْهًا لا تصل إليه نبيِّهم ﷺ، وربطِهم بسَلَفِهِم الصَّالح وماضِيهم

0 2 🕅

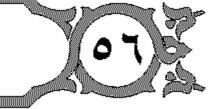
العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧

واستَحكَمت، فإنَّ الأمَّة تتلاشى وتندثر، فقال مبيِّنًا خطورة هذا الأمر وأهميَّة الإصلاح فيه: «تُعاني الأمَّةُ الجزائريَّةُ وجاراتُها المَّحدةُ معها في الدِّين والجنس،...عدَّة مشاكلَ اجتهاعيَّةٍ، لا يسَع المصلِحين إغفالهُا، ولا السُّكوتُ عليها بعد ظهور آثارِها وتحقُّقِ أضرارِها، وسَتُعَالِجُ «البصائر» طائفة من أُمَّهاتِها، ببيان نتائجِها وبيانِ وجهِ الرَّأي في من أُمَّهاتِها، ببيان نتائجِها وبيانِ وجهِ الرَّأي في علاجِها... فإنَّ من بعضِ هذه المشاكلِ ما لو تمادى وامتذَ لأتى بنيانَ الأمَّةِ منَ القواعدِ، وقضى عليها بالمسْخ أوَّلاً، والتَّلاشي أخيرًا. الأمَّة، وأبعدُها تأثيرًا في تكوينها، مشكلةُ الزَّواج الأمَّة، وأبعدُها تأثيرًا في تكوينها، مشكلةُ الزَّواج بالنَّسبة إلى الشبَّان»<sup>(٨)</sup>. الفقهيُّ، والاقتناعُ والرِّضَا بالتَّقليد، وهو ما أبعد المسلمين عن الدِّين الحقِّ، ورمى بهم إلى مؤخِّرة الرَّكبِ بين الأُمم، وذلك بالرُّجوع بهم إلى الموْرِدِ الصَّافي النَّقيِّ والمنْهَلِ العَذْبِ الزُّلالِ المتمثِّل في كتاب الله تعالى وسنَّة رسولِه عَنَّ وَفْقَ الطَّريقةِ الَّتي سار عليها سلفُنا الصَّالحُ عَنْ من إيراد الدَّليل والتَّعليل في الفقهِ والفَتْوَى والتَّعليم. يقول ـ رحمه الله ـ: «ولو أنَّ فقهاءَنا أخذوا الفقهِ من القرآن، ومن السُّنَة القوليَّة والفعليَّة، ومن عملِ السَّلفِ، أو من كتبِ العلماءِ المستقلِّين الشَّارعِ منها، لكان فِقْهُم أكمل، وآثارُه الحسنة في نفوسِهم أظهرَ، ولكانت سلطتُهم على المستَفْتِين من

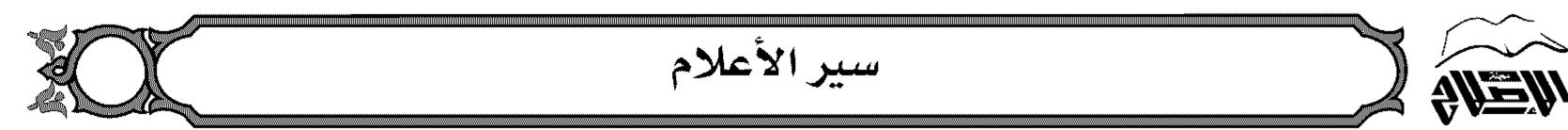
العامَّة أَمْتَنَ وأَنْفَذَ، ويَدُهم في تربيتِهم وتَرْوِيضِهِمْ فعمل على إزالة الأسباب الَّتي أدَّت إلى هذه على الاستقامة في الدِّينِ أعْلَى<sup>(٧)</sup> الظَّاهرة، وهي في الغالب تعود إلى العوائد **المحور الثَّاني - الإصلاح الاجتماعيُّ**: والتَّقاليدِ الفاسدة الَّتي بدَّلت حكمَ الله تعالى من القضايا الاجتماعيَّة الشَّيخ ونَسختْ سنَّة رسولهِ عَيْ.

المهمّة كان لا يغفل عن مراقبة الطلبة في مراحل ومن تلك العوائدِ السَّيَّةِ المغالاة في المهور، تعليمهم في الخارج، مستعينًا بجمعيَّة المعلِّمين الَّتي يقول\_رحمه الله\_: أنشأتُها جمعيَّةُ العلماء المسلمين، وفي ذلك يقول «من أمراضِنا الاجتماعيَّة التي تنشرُ في أوساطنا الفسادَ والفتنَةَ، وتُعَجِّلُ بها إلى الدَّمار \_ رحمه الله تعالى \_: «وجمعيَّة العلماء تعتقد أنَّه لا يتمُّ والفَنَاءِ \_ عَادَةً \_ المغالاةُ في المهُورِ ... وقد كانت هذه إصلاحُ التَّعليم في الدَّاخل إلاَّ إذا تَمَّ إصلاحُه في القضيَّةُ \_ وما زالت \_ أهمَّ ما تَضَمَّنَهُ منهاجُنا في الخارج، لشدَّةِ الاتِّصال بينهما، ولأنَّ التَّعليم في الخارج هو الَّذي يغذِّي التَّعليمَ الدَّاخليَّ بالمعلِّمين، الإصلاح الاجتماعيّ، فعالجناها بالتَّرغيب والتَّرهيب، ومحالٌ أن يَنَالَ التَّعليمُ الدَّاخليُّ خيرًا من معلِّمين وبيانِ ما تقتضيه الحكمةُ الشَّرعيَّة، وما يقتضيه الحكمُ الشَّرعيُّ، تناولناها في الخُطَب الجُمعيَّة، وفي يتخرَّجون من المقاهي، ويحصِّلون معلوماتهم من الجرائدِ الحزبيَّة، ويتدرَّبون في ميادين الحزبيَّة على الدُّروس وفي المحاضرات العامَّة، وفي المقالات السِّباب، وتنقُّص التَّعليم، والتَّنكُّر للعلم... المكتوبة، وحملنا الحملاتِ الصَّادقة على العوائدِ إِنَّ جمعيةَ المعلِّمينَ مصَمِّمَةٌ على أن تحوطَ التي لابَسَتْهَا، فأفسدَتْها حتَّى صيَّرت الزَّواج الَّذي التَّعليمَ في الخارج برَقابة تمدُّها على التَّلامذةِ، هو ركنُ الحياة أعسرَ شيءٍ في الحياة» (<sup>٩)</sup>. ونصائحَ تشتدُّ فيها، لِيَحْذَرُوا أولئك اللَّصوص، \* ومن القضايا الاجتماعيَّة التي عالجها ولينقطِعُوا إلى العلم، وليضعُوا بين أعينهم الواجب كذلك: قضيَّة التَّعليم؛ لأنَّه هو مادَّةُ الإصلاح الّذي ينتظرُهم في وطنهم، وهو التَّعليم»···. وأصلُه، فاهتَمَّ بإصلاح التَّعليم في داخل الوطن \* من الجوانب الإصلاحيَّة التي نالت وخارجه، فكان من أعماله السَّعيُ لإنشاء المدارس اهتماماتِ الشَّيخ البشير الإبراهيميِّ \_ رحمه الله \_، الجَرَّة والجاهان وإرسال وثارت من الطَّالة

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧



الشَّاتِم السَّبَّابِ، وهذا الافْتِتَانِ الْمُزْرِي بِالأَشْخَاصِ، وإرشاد الطَّائفتين للَّتي هي أقوم من معانيها. وكلَّ ذلك نراه على أقبح صُوَرِهِ في المجتمع أما معناها عند الحاكمين فيقول فيه: «إنَّ أعلى الجزائريِّ...»<sup>(۱۲)</sup>. معاني السِّياسة عند الحاكمين هو تدبير المالك بالقانون والنِّظام، وحياطة الشُّعوب بالإنصاف والإحسان، وخِتَامًا؛ أقول: إنَّ أعمالَ الشَّيخ الإصلاحيَّة في فإذا نَزَلُوا بها صارت بمعنى التَّحيُّل على الضَّعيف هذه المجالات ذاتُ أَفْنَانٍ، لها فروعٌ وتفاصيلُ لا لِيُؤْكَلَ، وقَتْلِ مُقَوِّمَاتِهِ لَيُهْضَمَ، والكيدِ للمستيقظِ يمكن استقصاؤُها في هذه العُجالة، لذا اقتصرْتُ على حتَّى يَنام، والهَدْهَدَةِ للنَّائم حتَّى لا يستيقظ. ذكر أهمِّها وما يكونُ دليلاً على ما لم يُذكر منها فإنَّ: «ضَوْءَ البَرْقِ المُنِيرِ يُنْبِئُ عَمَّا وَرَاءَه مِنَ المَطَرِ الغَزِيرِ». وهذا المعنى الأخير هو الذي جرى عليه الاستعمارُ، ووضعه في قوامِيسه وأقرَّه في موضعه وسبحانك اللهمَّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلاَّ من نفوس رجاله ودعاتِه بحيث إذا أطلق بينهم أنت أستغفرك وأتوب إليك. لفظُ السِّياسة لا يفهمون منه إلاَّ هذا... هذا معنى السِّياسة عند الحاكمين عاليًا وناز لاً» (١٠). (۱) «عيون البصائر»: (ص۲۱). (٢) المرجع السابق: (ص٢٢). وأمَّا معناها عند المحكومين فيقول فيه: (٣) «عيون البصائر»: (ص٢٢). «فأعلى معانيها إحياءُ المقوِّماتِ الَّتي ماتت أو (٤) «آثار البشير»: (١/ ٢٨٣). ضَعْفَتْ أو تَرَاخَتْ، من دين ولغة وجنس وأخلاق (٥) «عيون البصائر»: (ص٣٤). وتاريخ وتقاليدَ، وتصحيحُ قواعدِها في النُّفوس ثمّ (٦) المرجع السابق: (ص٢٠٣). (٧) «عيون البصائر»: (ص٢٢٩). المطالبة بالحقوق الضَّائعة في منطقٍ وإيمانٍ... مع (٨) المرجع السابق: (ص ٣٢٥). اختيار الفُرَص الملائمة لكلِّ حالة، درجاتٌ بعضُها (٩) «عيون البصائر»: (ص٣٥٩). فوق بعض، فإذا نَزَلُوا بها صارت إلى هذا التَّحاسدِ (١٠) المرجع السابق: (ص٣٥٣). على الرِّياسة وهذا التَّهافتِ على كراسِي النِّيابة، (١١) «عيون البصائر»: (ص٣٩). وهذه المناقشاتِ الفارغةِ في القُشُورِ، وهذا الجَدَلِ (١٢) المرجع السابق: (ص٤٠).





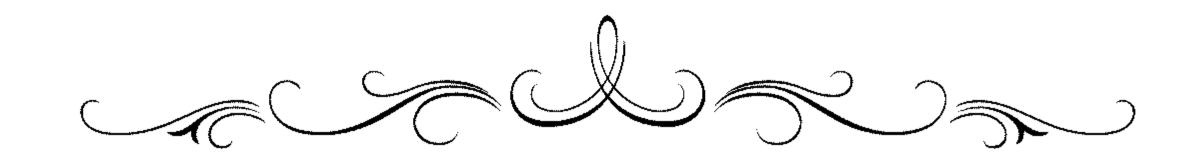
هذه قصيدة من بحر البسيط جادت بها قريحة الشاعر المفلق والأديب الألمعي الأستاذ عمارة أحمد قسوم \_ حفظه الله تعالى \_ نزيل الإمارات العربية المتحدة مستبشرا باللحاق بركب إخوانه في مجلة الإصلاح، فجزاه الله عنّا كلّ خير.

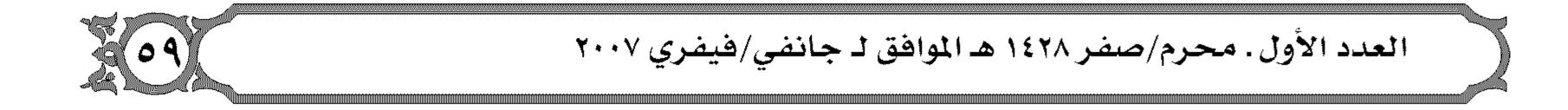
قَدْ هَـدَمَ الكُفْرَ وَالإشْرَاكَ شِرْعَتُهُ أَعْظِمْ بِهِ بَطَلاً فِي الحَادِثِ الجَلَل تِيكَ الخُطُوبُ الَّتِي دَهْرًا ثَجَابِهُهَا بِالصَّبْرِ وَالصَّدْقِ وَالإخْلاَصِ وَالعَمَل هَـذَا النَّبِيُّ الَّـذِي أَبْدَتْ شَرِيعَتُهُ نَفْعًا عَمِيًّا كَنَفْع العَارِضِ الْحَطِلِ

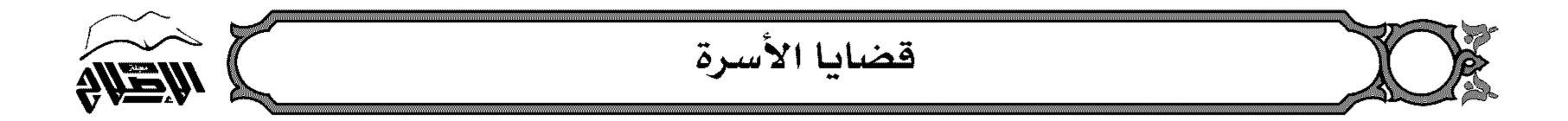
01 العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٣٠٠٧

خِتَامَ مِسْكٍ فَكَانَتْ أَحْسَنَ اللِّلَ هَـذِي الرِّسَالَةُ بِالْمُخْتَارِ قَـدْ خُتِمَتْ وَذِي مُجَلَّتُنَا فِي نَهْجِهَا رَسَمَتْ مَ آثِرَ الصِّدْقِ وَ«الإصْلاح» بِالعَمَ لِ شِعَارُهَا الحَقَّ وَ«**الإصْلاحُ**» مَقْصَدُهَا وَالاتِّبَاعُ لِحَدْي أَفْضَلِ الرُّسُلِ مُدُّوا يَدَ العَوْنِ «لِلإصْلاَح» في عَجَلِ يَا مُصْلِحُونَ فَهَاذَا اللَّينُ دِيانُكُمْ إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا الإِخْهِ لاَصُ تَوَّجَهَا فَازَتْ وَآضَتْ إِلَى الْفِرْدَوْسِ وَالنِّحَلِ إِنَّ الْقُلُوبَ إِذَا ازْوَرَّتْ مَقَاصِكُها خَابَتْ وَصَارَتْ إلى الخِذْلاَنِ وَالفَشَل

عبارة قسوم





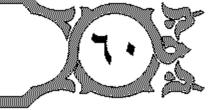


الإصلاح في الأسرة (هن أين يبدأ وإلى أين ينتهي)

بخيب جلواح

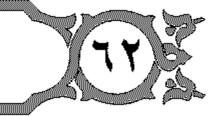
نعمتِه على البشريَّة جمعاء: أنْ جاءنا بمنهاج قبل الشُّروع في الموضوع، نقدِّم بين يديه شاملٍ قَوِيمٍ في تربية النُّفوس، وتنْشِئَةِ الأجيال، بتعريف كلِّ من «الأسرة» و«الإصلاح»، فالكلمةُ وتكوينِ الأمم، وبناء الحضارات، وإرساء قواعد الأولى: مأخوذةٌ من الأَسْر: وهو الشَّدُّ والعصب، المجْدِ، وإصلاح الأفراد والمجتمعات، قال تعالى: وشدَّة الخلق والخلق، والأسرةُ: هُمْ رَهْطُ الرَّجل ﴿قَدْ جَاءَكُم مِنْ ٱللَّهِ نُوَرٌ وَكِتَكُ تُمِبِينُ الأَدْنَوْنَ، وعشيرتُه التي يتقوَّى بها. ٢ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضُوَانَكُمُ سُبُلَ والكلمة الثَّانية: مأخوذةٌ من الصَّلاح: وهو ٱلسَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ الخير والمنفعة، ضدُّ الفَسَادِ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَطٍ مُسْتَقِيمٍ يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُغْسِدِينَ ٢٠ [يَنْتَنَ ١٠]، وقال أيضا: .[17\_10:誕出] 《① ﴿ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ (٢) ﴾ [النا : ١٥٢]. ولكن ما السَّبيل إلى تحقيق هذه الأهداف وإصْلاحُ الشِّيء: إقامتُه، وجعُله صالحًا، السَّامية المنشودة؟ وما البداية الصَّحيحة في تكوين وإزالةُ ما كان فيه من فساد؛ قال تعالى: ﴿ فَمَن تَابَ مِنْ هذا المجتمع الصَّالح؟ وما هي المهمَّة الملقاة على بَعَدِ ظُلَمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهُ يَتُوبُ عَلَيْهِ ﴾ [الماللة : ٣٩]. كاهل المربِّين والمرشدين؟ وكيف يمكن تحقيق هذا كله؟ فمن فضل الله تعالى علينا وعلى النَّاس، ومِنْ

العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧

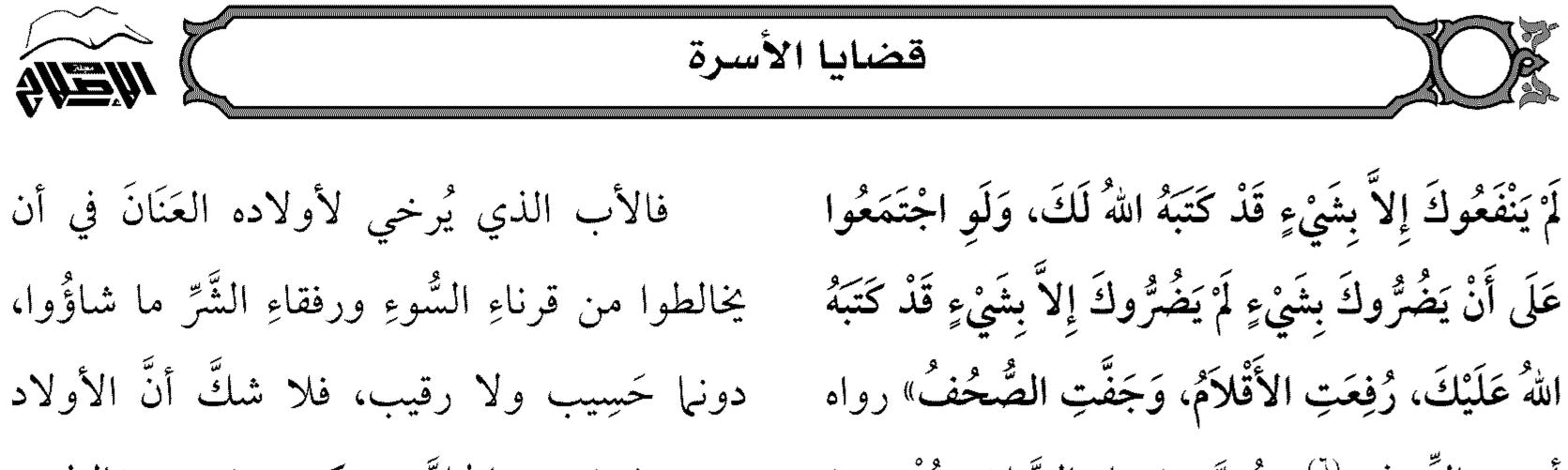


الدسرة، وإصارح المجتمع، وحب تل صلف من وحياة الأسرة جديرةٌ \_ من دون ريب \_ الأصناف تتفرَّعُ أنواع وتندرِجُ أقسامٌ. بالعناية، لأنَّها كانت \_ ولا تَزَال \_ أصلاً في الحياة وفي هذه المحاولة نُسلِّط الضَّوءَ على فرع من الاجتماعية، فلا غَرْوَ أَنْ كانت موضوعَ هذه العناية تلك الفروع السَّالِفَة الذِّكْرِ، وهو: «إصلاح الأسرة». العظيمة في القرآن الكريم. ولكن؛ لماذا اختيار الأسرة بالدَّرجة الأولى؟ والمسائلُ المتعلِّقةُ بإصلاح الأسرة متنوِّعة، تَعَيَّنَ هذا الاختيار؛ لأنَّ البدْءَ يكونُ بِالأهمِّ منها: ما هو بصدد الحياة الزَّوجيَّة، ومنها: ما هو ثمُّ المهمُّ، ومن الأهمِّ: «إصلاح الأسرة»، إذ بصدد الآباء والأبناء، ومنها: ما يتَّصِلُ بالآداب بصلاحها يصلح المجتمع، وإذا فسدت كانت سببًا السُّلوكيَّة. في فساده، ولأنَّ الأسرة: هي النَّواة والحجر والدَّافع \_ عند المسلم \_ للاهتهام بإصلاح الأساس، واللَّبِنَة الأولى في تكوين المجتمع، ولله درُّ أسرته: عدَّةُ أمور، نذكر منها: من قال: أَوَّلا: وقايةُ نفسِه وأهلِه من عقوبة الله، قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا فُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُو نَارًا وَقُودُهَا منْ يُصلِح الأسرةَ يُصلِح بها ٱلنَّاسُ وَٱلْجِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَيِّكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ ما دَمَّرَ الإفسادُ في قُطْرهِ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَايُؤْمَرُونَ ٢٠ ﴾ [التَحَقَيْشُ : ٦]. لقد أَوْلى القرآنُ الكريمُ للأسرة عنايةً كبيرةً، ظهر ذلك فيها احتواه من آيات عديدةٍ جدًّا، في ثانيًا: عظم المسؤوليَّة الملقاة على راعى الأسرة

شَاكِرًا، وَلِسَانًا ذَاكِرًا، وَزَوْجَةً مُؤْمِنَةً تُعِينُهُ عَلَى أَمْرِ تَعَالَى سَائِلٌ كُلَّ رَاع عَمَّا اسْتَرْعَاهُ، أَحَفِظَ ذَلِكَ أَمْ الآخِرَةِ» رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن ثوبان<sup>(1)</sup>، وفي رواية: «وَزَوْجَةً صَالِحَةً تُعِينُكَ عَلَى ضَيَّعَهُ؟ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ» رواه النَّسائي أَمْرِ دُنْيَاكَ وَدِينِكَ، خَيْر مَا اكْتَنَزَ النَّاسُ» رواه وابن حِبَّان عن أنس ('). البيهقي في «شعب الإيمان» عن أبي أمامة ("). ثالثًا: إنَّ الاهتمام بالأسرة: هو الوسيلة والأمُّ هي المدرسة الأولى لتَنْشِئَةِ الأجيال، فإنْ الضَّروريَّة لبناء المجتمع المسلم، لأنَّ المجتمع كانت صالحة: أَرْضَعَتْ أولادَها الصَّلاح والتَّقوى، يتكوَّن من أُسَرٍ، وهي لَبِنَاتُه، فلو صلحت اللَّبنة وصَدَقَ الشَّاعر: لكان مجتمعًا قويًّا بأحكام الله، صامدًا في وجه أعداء الأُمُّ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَعْدَدْتَهَا الله، يُشِعُّ الخيرَ، ولا يَنْفُذُ إليه الشَّرُّ؛ فتخرج من أَعْدَدْتَ شَعْبًا طَيِّبَ الأَعْرَاقِ الأسرة المسلمة إلى المجتمع أركان الإصلاح فيه؛ الأُمُّ روْض إِنْ تَعَهَّدَهُ الْحَيَا من الدَّاعية القدوة، وطالب العلم، والأمِّ المربِّية، بالرِّيِّ أَوْرَقَ أَيَّمَا إِيرَاقِ وبقيَّةِ المصلحين... الأُمُّ أُسْتَاذُ الأَسَاتِذَةِ الأَلَى ووسائل إصلاح الأسرة تدور على أمرين شَغَلَتْ مَآثِرِهُمْ مَدَى الآفَاقِ اثنين: إمَّا تحصيل مَصَالِح \_ وهو قيام بالمعروف \_؛ وَإِنْ كَانَتِ الأُمُّ طَالحة، فلا يُرجى صلاح أو درء مفاسد \_ وهو إزالة للمنكر \_، وتتلخُّص أبنائها؛ قال الشَّاعر: هذه الوسائل في النقاط التالية: وَلَيْسَ النَّبْتُ يَنْبُتُ فِي جِنَانٍ ١ - حسن اختيار الزُّوجة: على المسلم أن نختار كمثل النَّبْتِ يَنْبُثُ فِي الفَلاَةِ لأبنائه الأمَّ المسلمة، التي تعرف حقَّ ربِّها وحقَّ زوجها وحقَّ ولدها، الأمُّ التي تغار على دينها وسنَّة وَهَلْ يُرْجَى لأَطْفَالِ كَهَالُ نبيِّه. عَظِيْر، قال رسول الله عَظِير: «لِيَتَّخِذْ أَحَدُكُمْ قَلْبًا إذا ارْتَضَعْوا ثُدَى النَّاقِصَاتِ



وأنصيدفه ونارونا العران وتستعط أدركا وأستيار والرَّجُلُ الصَّالحُ مع المرأة الصَّالحة يَبْنِيَان بيتًا صاحباتٍ لها من أهل الدِّين، وإبعادها عن رفيقات صالحًا، فالبلدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نباتُه بإذن ربِّه، والذي وقرينات السُّوء. خَبْثَ لا يَخرُج إلا أَنكِدا. ٣ \_ تعليم أفراد الأسرة العلم الشَّرعيّ : وهذه ٢ \_ إصلاح الزُّوجةِ: لابدَّ أن يعلم المسلم، فريضةٌ شرعيَّةٌ لابدَّ أن يقوم بها راعي الأسرة، يعلِّم أَوَّلا: أَنَّ الهداية من الله تعالى، واللهُ هو الذي يُصلح أهلَ بيته ويربِّيهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر؛ وحبَّذًا لو سَطَّرَ منهجًا متواضعًا في هذا النُّفوس، قال تعالى: ﴿ وَرَكَرِيَّا إِذْ نَادَكَ رَبَّهُ. رَبِّ لَا الإطار، يتضمَّنُ مختلف أبواب علوم الشريعة تَذَرْنِي فَكْرَدًا وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْوَرِثِينَ ٢٠٠٠ فَأَسْتَجَبْنَا لَهُ كالتفسير والحديث والفقه... وَوَهَبْ نَا لَهُ، يَحْيَى وَأَصْلَحْنَ اللهُ، زَوْجَهُ، ﴾ الآية [الأَبْنَيْثَانَ : ٨٩ ـ ٩٠]، ومعنى قوله: ﴿ وَأَصْلَحْنُ لَهُ. ٤ - إصلاح الأولاد: بتحفيظهم القرآن الكريم، وتعليمهم الآداب والأذكار الشَّرعيَّة، وتعليمهم زَوْجَعَهُ ﴾ قال أكثرُ المفسِّرين: إنَّها كانت عاقرًا: فجعلها الله وَلُودًا؛ فهذا هو المراد بإصلاح زوجه؛ أصول العقيدة الإسلامية، كالّتي وَرَدَتْ في حديث ابن عبَّاس حينيه: «يَا غُلامُ! إِنِّي أُعَلَّمُكَ كَلِمَاتٍ: وقيل: كانت سيِّئةَ الخُلُقِ، فجعلها الله سبحانه احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إذَا حسنةَ الخُلُقِ، ولا مانع من إرادة الأمرين جميعًا، سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهُ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله؛ وذلك بأنْ يُصلح الله سبحانه ذاتَها، فتكون وَلُودًا، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ بعد أن كانت عاقرًا، ويُصلح أخلاقَها، فتكون



أحمد والتِّرمذي (٢) ويُدرَّبون على الصَّلاة ويُؤْمرون سينحرفون عن الجادَّة، ويكتسبون \_ بمخالطتهم بها في السَّابعة، ويُفرَّق بين الذَّكور والإناث في لأولئك القوم \_ أرذل الصِّفات، وأسوأً الأخلاق. المضاجع، لقوله على: «مُرُوا أَوْلاَدَكُمْ بِالصَّلاَةِ وَهُمْ وليكن إصلاح المسلم لنفسه \_ المسؤول عن أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ أسرته \_ قبل إصلاحه ذرِّيَّتَه وولدَه، فالحسَنُ عند سِنِينَ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ» رواه أبو داود<sup>(٧)</sup>. الأولاد مَا فَعَلْتَ، والقبيحُ ما تَرَكْتَ، وإنَّ حسن سلوك الأبوين \_ أمام الأولاد \_ أفضل تربية لهم، وتُرَغَّبُ البنْتُ في السِّتْرِ والحجاب والحشمة وهو ما يسمَّى بـ «القدوة الحسنة». منذ الصِّغر، لِتَلْتَزِمَهُ في الكِبَر، فلا يُلْبِسُها وليُّها القصيرَ من الثِّياب ولا لباس الذَّكور، كي لا تتشبَّه قال تعالى: ﴿ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي أَبِي تُبْتُ إِلَيْكَ بهم، وتتميَّز عن الجنس الآخر. **وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ (\*\*)** [اللَخْقَظ : ١٥] أي : وأصلح لي وليحذر راعي الأسرة أشداً الحذر من خروج أموري في ذرِّيَّتِي، الذين وهبتهم لي، بأن تجعلهم أولاده مع من لا يعرف من أطفال الحيِّ والجيران، هداةً للإيمان بك، واتِّباع مرضاتك، والعملِ فيرجعوا بأُسْوَءِ الأخلاق وألفاظ السِّباب بطاعتك، واجعل الصَّلاح ساريًا في ذرِّيَّتي، راسخًا والشَّتائم؛ بل ينتقي لهم من أولاد الجيران من فيهم. يصاحبهم؛ لأنَّ «الصَّاحب ساحبٌ» \_ كما يقال \_

٥ \_ إزالة المنكرات من الأُسْرَةِ: وذلك بأنْ ولقد أحسن القائل: يعمل راعي الأسرة على إزالة المنكرات ومحاربة عَن المرْءِ لاَ تَسَلْ وَسَلْ عَنْ قَرِينِهِ الرذائل التي من شأنها أن تهدم كيان الأسرة وتعبث فَكُلَّ قَرِينِ بِالمَقَارِنِ يَقْتَدِي فِقِيَمِها وتلقي بها إلى الإفلاس والفناء.

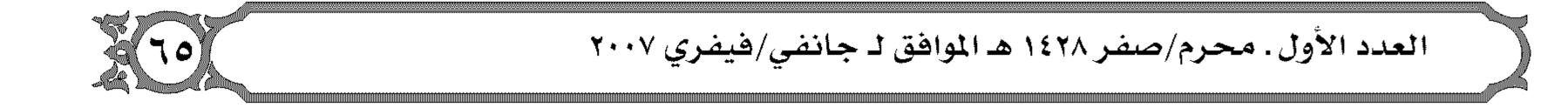
العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٢٠٠٧



فالأب ألدي يسمح لأولاده أن يساهدوا الأفلام التي تدعو إلى الميُوعَةِ والانحلال، وتَحُضُّ على الانحراف والإجرام، والّتي تفسد الكبار فضلاً عن الصِّغار، لا شكَّ أنَّ هذا الأبَ يقذف بأولاده \_ من حيث يشعر أو لا يشعر \_ إلى الهاوية. والأب الّذي لا يراقبُ أولادَه وبناتِه وَقْتَ ذهابهم إلى المدرسة أو رجوعِهم منها أو مكوثِهم فيها، فإنَّ الأولادَ يجدون من إهمال والِدِهم ما يدفعهم إلى ارتياد الأماكن الموْبُوءَةِ والمشبوهة. وإذا سار الأولاد في مثل هذه الطَّريق، سَيَفْسدُون تدريجيًّا، وتسوء أخلاقُهم، وربَّما وصلوا إلى وضع يصعب حينئذ ردُّهم وإصلاحُهم، ومعالجة حالهم.

للامّة ما تصبو إليه من صلاح ابنائها وبناتها. والحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيِّد الخلق أجمعين، ولا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العليِّ العظيم. (۱) «صحيح الجامع» (۱۷۷٥). (۲) «صحيح الجامع» (۲۳۱). (٣) «صحيح الجامع» (٢٣١). (٤) «السِّلسلة الصَّحيحة» (١٠٢٢). (٥) «فتح القدير» (٣/ ٤٢٥) للشُّوكاني. (٦) «صحيح الجامع» (٧٩٥٧). (V) «مشكاة المصابيح» (٥٧٢).

ولكن يُراعَى أن تكون هذه المراقبة خفيَّةً لا يشعر الأولاد بفقدان الثِّقة بينهم وبين أوليائهم، وينبغى أن يُراعَى في النُّصح والتَّوجيه أعمارُ الأولاد



الجميع؛ أسرتِه بالفعل، وأمَّتِه بالقصدِ؛ أو أسرتِه مباشرةً وأمَّتِه بواسطةٍ؛ وكلَّ هذا ممَّا يثابُ المرُءُ شرعًا عليه».

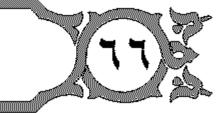


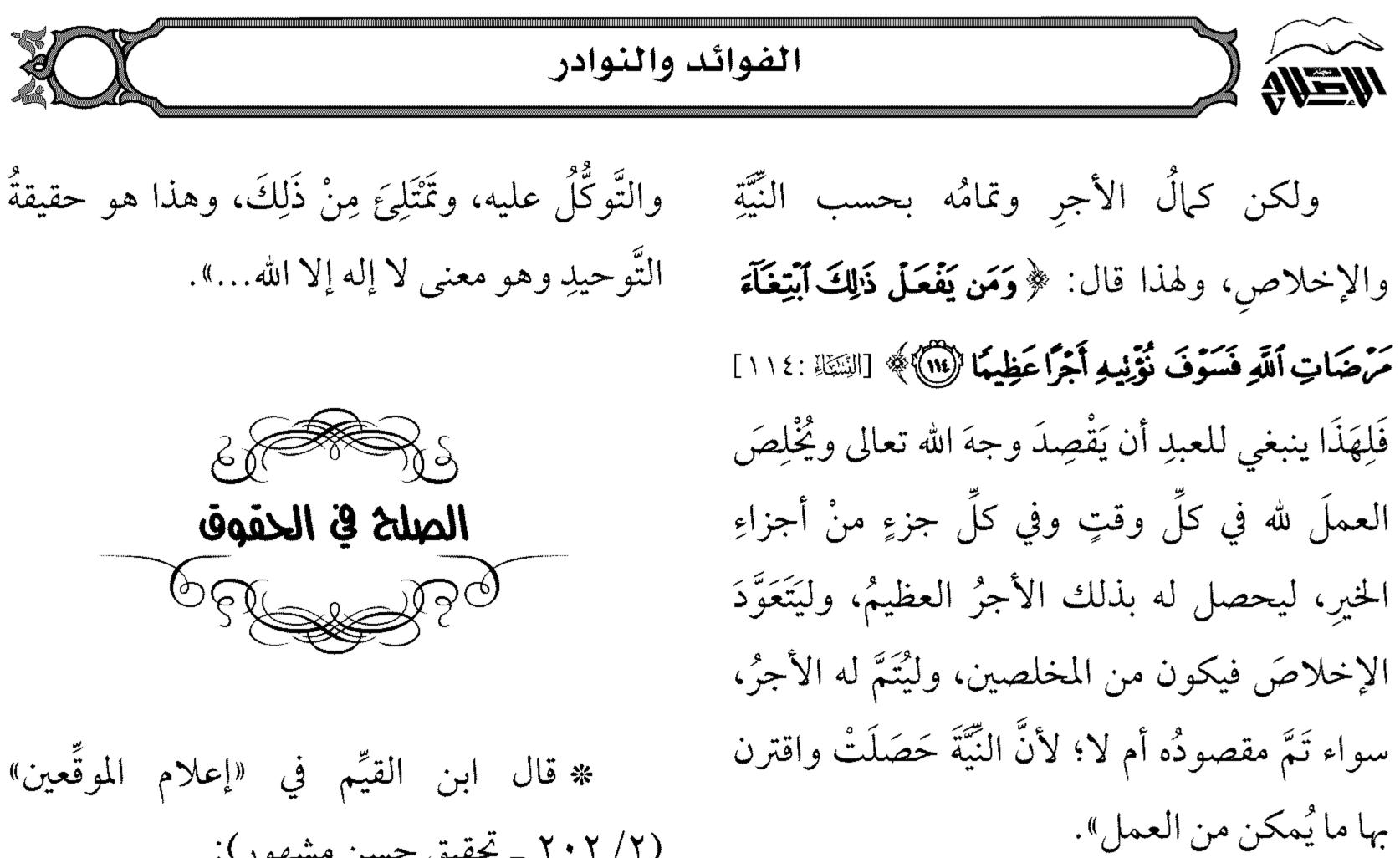
\* قال السَّعدي في «تفسيره»: «والسَّاعي في الإصلاح بين النَّاس أفضل من القَانِتِ بالصَّلاةِ والصِّيام والصَّدقةِ، والمصلحُ لا بُدَّ \* قال ابن باديس في «تفسيره» (ص: ٤٩٢): أَنْ يُصلِح الله سعيَه وعملَه. «...هكذا على المرْءِ أَنْ يبدأ في الإرشاد كما أنَّ السَّاعي في الإفساد لا يُصلح اللهُ عملَه والهدايةِ بأقرب النَّاس إليه، ثمَّ مَنْ بعدَهُم على التَّدريج. ولا يُتِمُّ له مقصودَه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهُ لَا يُصْلِحُ وعندما يقوم كلُّ واحدٍ منَّا بإرشاد أهلِه، عَمَلَ ٱلْمُغْسِدِينَ ٢ ٢ [ يُنْتَ ١ ١ ]، فهذه الأشياء حيثها فَعَلْتَ فهي خيرٌ، كما دلَّ على ذلك الاستثناءُ. وأقرب النَّاس إليه، لا نَلْبَث أن نرى الخيرَ قد انتشر

\* قال الطبري في «تفسيره» (١/ ٧٥ - مؤسسة الرسالة): «معنى الإفسادِ: هو ما ينبغي تركهُ ممَّا هو مَضَرَّةٌ، وأنَّ الإصلاحَ: هو ما ينبغي فِعله ممَّا فِعلهُ مَنْفَعَةٌ».



العدد الأول. محرم/صفر ١٤٣٨ هـ الموافق لـ جانفي/فيفري ٣٠٠٧

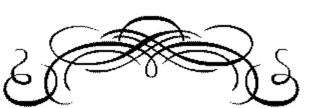


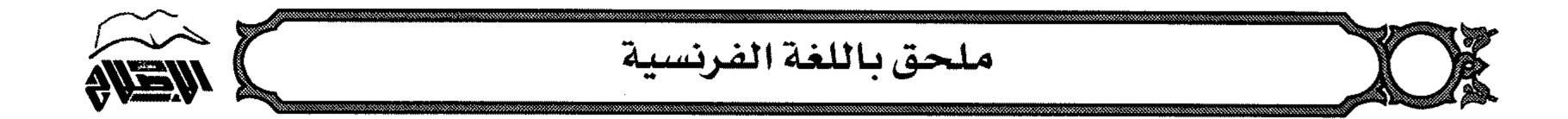


\* قال ابن القيِّم في «إعلام الموقِّعين» (۲/۲ ـ تحقيق حسن مشهور): «والحقوق نوعان: حقٌّ لله وحقٌّ لآدمي، فحقٌّ الله لا مدخل للصُّلح فيه؛ كالحدود والزَّكوات والكفَّارات ونحوها، وإنَّما الصُّلح بين العبد وبين ربِّه في إقامتها، لا في إهمالها، ولهذا لا تُقْبَلُ الشَّفاعة في الحدود، وإذا بلغت السُّلطانُ فَلَعَنَ اللهُ الشَّافع والمشفّع. وأمَّا حقوق الآدميِّين، فهي التي تقبل الصُّلحَ والإسقاطَ والمعاوَضَة عليها، والصُّلحُ العادلُ هو

<u>J</u>PO \* قال الحَسَنُ لِرَجُلِ: «دَاوِ قلبك، فإنَّ حاجةَ الله إلى العبادِ صَلاَحُ قُلُوبِهم». قال ابنُ رَجَبٍ في «جامع العلوم والحكم»







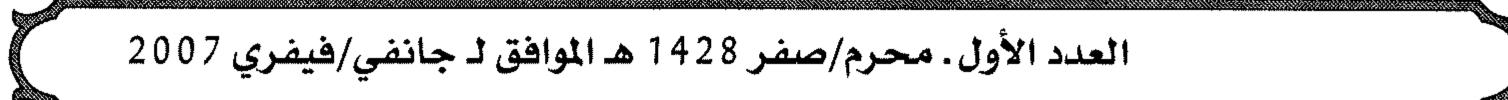
## EDITORIAL

La purification de l'âme à l'échelle de l'individu à la base d'une réforme de la communauté

Louanges à Allah, seigneur de l'univers; Que les salutations d'Allah soient sur son messager qu'Il a envoyé en qualité de miséricorde universelle, ainsi que sur ses compagnons et ses frères jusqu'à la résurrection.

Notre communauté a, aujourd'hui, un besoin des plus urgents que chaque individu qui la compose se range sous sa bannière de façon à ce que chacun représente une brique utile, servant son édification, renforçant ses assises et élevant son rang, car la communauté se perd, simplement par la déperdition de ses individus. De même, la bonne santé de la communauté résulte du bon comportement de ses composants. Allah a loué les vertus de la meilleure communauté d'hommes que l'humanité ait connu et qui a porté des qualités inégalables dans un contexte non musulman. C'est la communauté qui a compris au juste sens voulu par Allah, la profession de foi «lâ illâha illâ-l-lâh Mohamed Rassoul Allah » (Il n'y a d'autre

divinité digne d'adoration qu'Allah et Mohamed est son messager). Cette profession n'était pas pour eux un mot éphémère loin de son sens et de ses applications dans tous les domaines de la vie, ni une affaire de faible importance dont ils parlaient et leurs cœurs accrochés ailleurs avec des comportements en opposition avec ce qu'ils disaient, mais ils l'avaient parfaitement comprise et respectée. Allah a dit: «Vous êtes la meilleure: communauté qu'on ait fait surgir pour les hommes vous ordonnez le convenable, interdisez le blâmable et croyez à Allah » (Coran, chap. 3, vers. 110). Ils étaient scindés autour d'une même croyance, empruntant la même trajectoire sans le moindre défaut, comme les a ordonné leur dieu l'Exalté : « Et voilà Mon chemin dans toute sa rectitude, suivez-le donc; et ne suivez pas les sentiers qui vous écartent de Sa voie. » (Coran, chap. 6, vers. 153), formant une société croyante ayant une personnalité d'une rare force, réunis





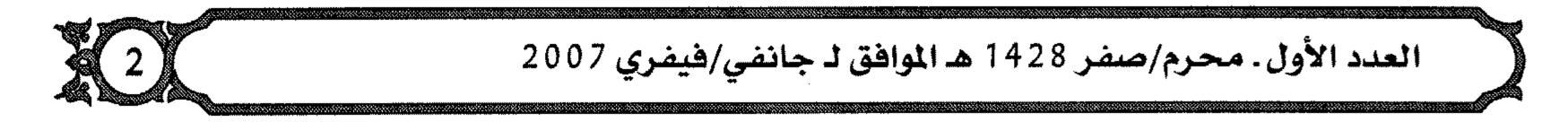
autour du monothéisme le plus strict, adhérant pleinement à sa doctrine et mettant en pratique ses enseignements. Par la doctrine du monothéisme se réalisait pour la première fois dans l'histoire de l'humanité une union basée sur une adoration exclusive d'Allah sous toutes ses formes, et sur un suivi sans faille du prophète (qsassl) considéré comme l'unique guide et modéle, et l'attachement à sa conduite en appelant les autres à s'y attacher et à s'éloigner de toute innovation religieuse. Ces qualités ont élevé cette communauté du plus bas niveau dans lequel elle se trouvait, au mérite d'atteindre des rangs de la seigneurie. Par leurs mains, Allah a donné naissance aux conquêtes auxquelles jamais l'histoire n'avait connu de semblables ni avant ni après : l'islam, en un demi siècle se taillait un empire allant de l'océan atlantique à l'océan indien: « A ceux d'entre vous qui auront cru et fait le bien Allah promet formellement de donner la suprématie sur terre, comme Il l'a donnée à d'autres les ayant précédés. Il etablira, fermement à leur intention, le culte qu'Il a choisi pour être le leur. Il changera leur crainte en sécurité. Qu'ils M'adorent sans rien M'Associer ! Ceux qui, après cela, renieroont leur foi, seront en vérité des pervers » (Coran, chap. 24, vers. 55).

communauté. C'est la pierre angulaire à sa droiture et à son bonheur dans ce bas monde et dans l'au-delà. Le psychique est composé -du point de vue force ou faiblesse- des deux aspects suivants :

1 - un aspect positif inné en chacun qui consiste en l'amour de la vérité et du bien et qui lui permet d'être heureux d'apprécier les choses à leur vérité et d'en et d'être répugné par les effractions à ces vérités. Sans l'influence d'éléments extrinsèques, ce caractère inné demeure dans un état intact par sa droiture et sa paix. Il engendre alors la religion de l'islam et implique son corollaire qui est la croyance en le Créateur, l'amour de ce Créateur et la vocation d'un culte exclusif à ce Créateur. Ibn Taymiyya dit dans ce sens : « Allah a déposé dans le cœur de chaque être humain des connaissances innées qui le rendent apte à discerner entre le bien et le mal, qui le rendent apte à discerner les choses et à les comprendre et, n'était-ce cette aptitude innée, tout raisonnement, toute contemplation, toute explication auraient été vains. Cela est pareil au fait qu'Allah a fait inné l'aptitude des corps à se nourrir et s'abreuvoir et, n'était-ce cette aptitude, il n'aurait pas été possible de se nourrir et de se développer. Tout comme les corps sont capables de discerner entre les bonnes nourritures de celles qui ne le sont pas, les cœurs sont dotés d'une faculté plus grande à

C'est à travers les caractéristiques de cette génération et de ses constantes originales que s'est développée l'attention de l'islam à l'élément psychique de l'individu. Car la reforme psychique de l'individu constitue la base fondamentale de sa reforme et de la reforme de sa faire la différence entre ce qui est vérité et ce qui n'est que chimère. ».

2- Un aspect négatif qui vient affaiblir l'instinct naturel et éteindre sa lumière. Ainsi, par ce facteur négatif, l'instinct peut se déformer au point de faire passer l'individu dans le camp des





ملحق باللغة الفرنسية

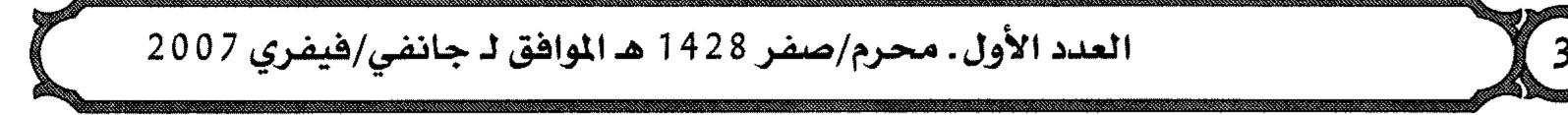
infidèles et des païens. Ce facteur peut être un caractère mauvais ou encore un environnement malsain dans lequel évolue l'individu. Dans ce sens, un hadith du prophète énonce: « Chaque enfant vient au monde en ayant la foi. Ce sont ses parent qui le judaïsent, le christianisent ou en font un mazdéen ». Ça peut-être également des impulsions démoniaques allant dans tous les sens qui peuvent le dévier du droit chemin. Dans cet autre sens, le prophète narre les paroles de **son seigneur :** « *j'ai créé tous mes serviteurs* dans un état de sainteté. Les démons sont alors venus à eux les extirpant à leur religion, leur interdisant ce que je leur ai fait licite et leur ordonnant de m'associer dans leur culte ce que je ne leur ai point commandé ». Ainsi, le destin de l'homme dans ce monde et dans l'au-delà s'est trouvé dépendant duquel des deux facteurs l'emporte : le facteur du bien et de la piété ou le facteur du mal et de l'impiété. Celui qui oeuvre à purifier son âme par l'obéissance à Allah et à s'éloigner des caractères vils et des actes détestables a gagné. Celui qui, à l'opposé, ne l'a pas entretenue et l'a avilie au point de pécher et d'abandonner l'obéissance à son seigneur, celui-là a perdu. Cette vérité est inscrite dans ces versets : « Et par l'âme et ce qu'il la equilibrée; 7. lui inspirant ou sa révolte ou sa piété ! 8. En

avec détail et clarté, son amour, son adoration et son obéissance exclusives, la connaissance des causes qui détournent de la voie innée est l'empêchent de la suivre. Leur mission fut également de mettre en garde contre la soumission aux pulsions démoniaques et aux caractères hideux qui s'emparent de l'âme et lui font diminuer sa force, la jetant dans les confins de l'égarement et dans les cercles du libertinage, l'éloignant, par là, du sentier d'Allah. Les messagers ont oeuvré à purifier les âmes de tous les vices et de toutes les turpitudes qui les détournent de leur vocation. « Relève donc la tête pour te vouer au culte pur de l'Un, selon la nature innée dont Allah a pourvu les hommes en les créant. Ce qu'Allah a créé ne peut être modifié Telle est la religion droite. Mais la plupart des hommes n'en savent rien » (Coran, chap. 30, vers. 30). **Ibn al-Qayyim dit :** « Telle est la vocation des religions que les messagers ont prêchées. Elles ordonnent le bien, interdisent le mal, rendent licite ce qui est bon et illicite ce qui est mauvais, commandent la justice est proscrivent l'iniquité. Et toutes ces vertus sont, à l'origine, innées dans l'âme de tout individu. La mission des prophètes fut de les dévoiler de les mettre en évidence ».

C'est sur la base de la voie prêchée par les messagers d'Allah que repose la prédication des réformistes qui appellent à la croyance en l'unicité d'Allah, seigneur de l'univers, à son adoration, à son amour est à la vocation d'un culte exclusif. Tel est le fondement de la religion et le thème de la prédication de tous les prophètes et messagers. C'est la pierre angulaire des œuvres, le critère

vérité sera heureux qui purifie son âme. 9. Tandis que courra à sa ruine qui la souille.10» (Coran, chap. 91, vers. 7-10).

C'est pour cette raison qu'Allah a envoyé ses messagers pour rappeler aux âmes leurs devoirs de veiller à leur pureté innée par la connaissance d'Allah



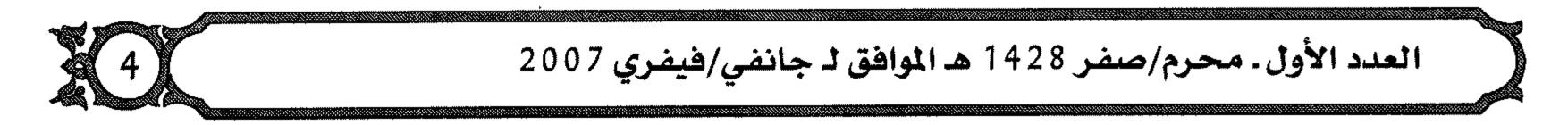
## ملحق باللغة الفرنسية

de la seigneurie dans ce monde et du salut dans l'au-delà. C'est par cette voie que la communauté sera soudée autour de son guide Mohamed, que les salutations d'Allah soient sur lui. Point d'unité sans une croyance absolue en l'unicité d'Allah et point d'union des rangs sans avoir pour guide unique Mohamed. **le verset :** « Emploies toi Par la sagesse, la douce exhortation à appeler les hommes vers la voie du seigneur. Discutes avec eux sur un ton modéré » (Coran, chap. 16, vers. 125).

Le domaine de la réforme exige de ceux qui y adhèrent d'être de fins connaisseurs des méthodes de la prédication, à avoir une connaissance parfaite de la religion, de ses hautes finalités et de ses nobles objectifs, tout cela associé à une étroite et constante **liaison avec Allah.** « Dis : "Voici ma voie, appeler à Allah en toute clairvoyance. Et c'est aussi la voie de ceux qui me suivent. Gloire à Allah ! Je ne suis pas du nombre des païens » (Coran, chap. 12, vers. 108). Ils doivent éviter dans leur mission toute grossiéreté ou mauvaise maniére. L'appel à Dieu par la douceur étant une caractéristique majeure de la vraie prédication de l'islam. Les prédicateurs doivent s'éloigner des bas desseins et ne pas se laisser séduire par le charme de la vie, car la soumission aux saveurs de la vie et l'oubli de l'au-delà constitue le chemin vers la déperdition. « Ô vous croyants ! Que le souci, de vos enfants, de vos richesses, ne vous distraient point de la pensée d'Allah ! Ceux qui s'en laisseront détacher auront tout perdu» (Coran, chap. 63, vers. 9). Les prédicateurs se doivent d'avoir une confiance absolue en Dieu, d'avoir pour parure l'endurance dans leur appel au bien, à la lucidité d'esprit et aux rangs de la seigneurie. Ils doivent toujours avoir à l'esprit combien le prophète a affronté d'opposition perfide, d'objections de toutes sortes et de toutes les couleurs. Il a été endurant et patient jusqu'à ce que Dieu lui ait accompli sa religion et

Le domaine de la réforme religieuse invite ceux qui s'y inscrivent à éviter aux caractères innés les pulsions qui sont en contradiction avec le monothéisme pur, et à mettre en garde contre les idéologies impies, les manifestations d'associationnisme, les formes de croyances populaires perfides, les catégories d'innovations religieuses et la lutte contre les causes de la déviance par rapport à la religion innée, tout cela en faisant émerger la vérité, en ordonnant le bien et en combattant le mal par le biais du savoir religieux authentique qui forme le thème de l'islam et sa substance et ce, en s'appuyant sur la méthode du Coran, de la Sunna et sur la tradition des compagnons du prophète et de leurs disciples.

Le domaine de la réforme religieuse invite également ses partisans à s'attacher corps et âme à la loi d'Allah fort valable pour tous les domaines de la vie sur lesquels repose leur bien-être dans ce monde et dans l'au-delà et à prêcher l'attachement aux bonnes mœurs, au concepts du bien et de la bienfaisance, à oeuvrer ensemble dans la vérité et le bien en employant la méthode de prédication enseignée dans





lui a fait connaître l'expansion dans les horizons.

L'endurance des prédicateurs pour une réforme de la société est une nécessité du parcours parce que cette endurance à l'encontre du dédain des incrédules, du mécontentement des pervers, du rejet par leurs auditoires, tout cela est une des caractéristiques des gens pieux. « Comment pourrions nous ne pas nous en remettre à Allah ? Lui qui nous a fait suivre les voies les plus sures pour notre salut ! Aussi bien, sommes nous fermement résolus à supporter vos outrages ! Allah est le digne soutien de ceux qui l'implorent » (Coran, chap. 14, vers. 12). C'est aussi un caractère des guides sur le droit chemin. «Nous avons suscité, parmi eux, des chefs spirituels qui guidaient des hommes, selon nos ordre, cela pour avoir su préserver dans Notre voie et avoir cru fermement en Nos Signes » (Coran, chap. 32, vers. 24).

*donc* » (Coran, chap. 21, vers. 92).

Nous prions Allah de nous apporter la victoire par notre attachement à son anse solide, de rassembler nos cœurs sur la piété de la foi, de raffermir les pas de ceux qui oeuvrent à la réforme, d'être avec eux et de les réunir de façon à s'entraider dans la piété et de se conseiller les un les autres à rester sur le droit chemin et à avoir la patience requise. Allah connaît les visées de chacun de nous et guide vers le droit chemin.

Si la réforme d'un individu s'accomplit pleinement, une pierre aurait été taillée pour servir à l'édification de la société musulmane devant laquelle viendront se placer d'autres pierres bien taillées élevant par là l'édifice de la nation musulmane qui est semblable à une construction bien faite où toutes les pierres se tiennent les unes les autres. La nation ainsi construite rendra Louanges à Allah et que les salutations de Dieu soient sur son prophète, sa famille, ses compagnons et ses frères jusqu'au jour de la résurrection.

heureux les croyants à l'unicité d'Allah, par l'entraide de ses individus, sa force, son élévation et sa domination sur terre à travers les âges et dans toutes les circonstances. « Certes, cette communauté qui est la vôtre est une communauté unique, et Je suis votre Seigneur. Adorez-Moi